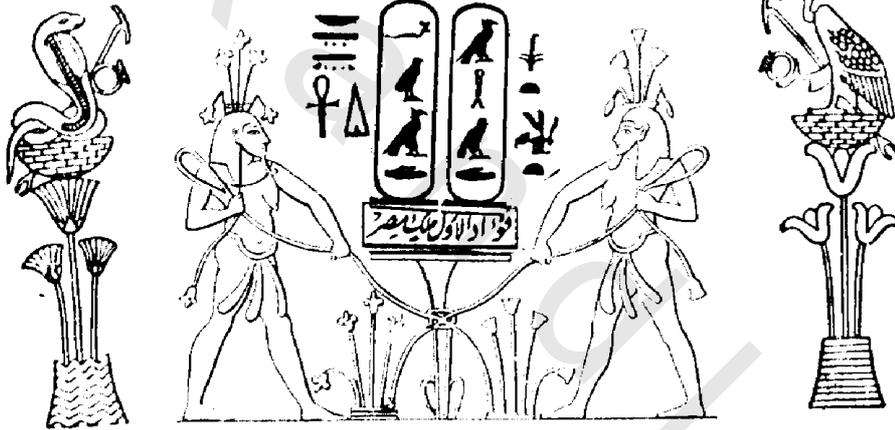


# البيوت في عهد الفراعنة والعرب

لواضعه

انطون زكريا

أمين دار كتب المتحف المصري



يطلب من ملتزم طبعه ونشره

بنجيبة تزي

صاحبة طبعة المعارف ومكتبة بنجيبة

( الطبعة الاولى ) ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦



مطبعة المعارف بـمصر

## حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول

أول ملك جلس على عرش مصر بعد دول الفراعنة المرسومة صور عظماهم حول رسمه الكريم

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## مقدمة

على غير ما اعتاده بعض الكتاب من اتخاذهم عادة في ما يؤلفون ويكتبون وضع مقدمات كيان للفن الذي يشتغلون به ، أو المواضيع التي يوقفون للإجادة في مباحثها تشويقاً للقراء ، وتنبهها عن أهمية ما يتصدرون الاطباب فيه ، بما أوتوا من براعة واقتدار حتى يكون المطلع على اشتياق لما تزفه الأقلام للأفهام

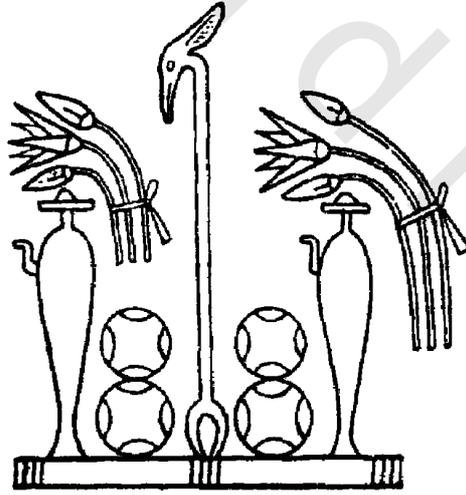
قد رأيت في هذا المؤلف اجتناب الإطالة في التمهيدات والمقدمات ، اكتفاء بأن الموضوع المقصود بالبحث والبيان هو النيل ، والنيل ذو أهمية بذاته لا تحتاج معالجة لأثارة الأشواق واستفزاز الفطن ، لأن النيل ومزاياه وتوقف حياة البلاد عليه تكاد أن تكون في حكم المعلومات الفطرية ، التي تنبعث الأذهان بطبيعتها إلى حب الإطلاع على كل ما يتعلق به من المباحث التاريخية والمعلومات الفنية التي جادت بها القرائح في قرون ماضية ، لازلنا نقف في آثارها في الارتشاف من مناهلها والحرص على الاستفادة من كل جديد مفيد

النيل في عصر الفراعنة وفي عصور الفتوحات الاستعمارية إلى عصر الفتح الاسلامي وما يليه ، أخذ عناية دائمة بالمحافظة على فوائده من كل دولة كان لها حق السيطرة على هذه البلاد

لهذا تحتم عندي التلخيص بأقصى مستطاع لكل المعلومات الزمنية للنيل وتطوراته  
في كل هذه العصور، اعترافاً للرجال المصلحين في كل أمة بالفضل الذي بذلوه  
لفائدة العمران في المحافظة على مياهه وانتفاع بلاده ببركات فيضه

فلنا المعذرة إذا قصرنا بحثنا على أدق ما يهم الإطلاع عليه، خصوصاً فيما يتعلق  
بالمناطق الشهيرة التي نرى في الالماع إليها أتم كفاية لمن يهمه أمثال مباحثها  
العمرانية والتاريخية

فلهذه الأسباب يكون اقتناء كتابي هذا، والتكريم بالإطلاع عليه كمنشجع أدبي  
لكل قارئ، فيه حظ الارتياح وامتنان الشاء، لأن كل فرد من سائر الطبقات  
المصرية يشاق لتبادل وتعميم هذه المباحث العمومية بقدر الارتباط العام لكل فرد  
من أقلته أرض مصر ببركات النيل وفيوضاته



## منابع النيل

« حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم »

قليل من المصريين من يشاهد عليه الاعتناء بالنيل ومعرفة تطوراته، بحسب النظم الحكومية التي طرأت عليه لمناسبات تحسين الري وحسن التصريف في كميات الفيضان، وقل أن تجد حتى عند ذوى الاطلاع معلومات تدل على اهتمام القوم بهذا النهر الذي هو مصدر الثروة وينبوع الحياة، بل إن أغلب الأمة المصرية لا تذكر شيئاً عن النيل إلا في أوان التجاريق بمناسبة التشديدات التي تتخذها مصلحة الري في وضع المناوبات واحتياجهم إلى تلقي الأخبار المنبئة عن بدء الفيضان، وهذا هو منتهى اهتمام الزراع وأرباب الأطنان الواسعة. وأما أغلبية الطبقات من الأمة حتى المشتغلين بالعلوم العامة في المدارس بأنواعها وطبقات الصناع والتجار، فلا يحسبون للنيل حساباً ولا يعمنون بشيء من أخباره إلا في مقتضيات محدودة من الزمن، مثل حفلة وفاء النيل وباقي الاعياد المتداخلة في شهر الفيضان عند بعض الطوائف، فإذا انقضت هذه المدة أغفلوا ذكر النيل جانباً، كأنهم ليسوا من سكان واديه أو من القاطنين في أراضيه التي كرمها الله بالخصب والرغد وجعله لها مصدر السعادة ومهاد الثروة أفرد كثير من المؤرخين النيل بمباحث مطوّلة عن البعثات التي كلفت باكتشاف ينابيعه وطرق سريانه في الأودية، ووسائل الانتفاع به وما تحويه مسالكه من المعادن والأتربة ذات الخواص. وهذا المبحث مفيد من الوجهة العلمية التي تقبل المزيد من الوضوح، كلما تقدم العقل العرفاني في ارتقائه ووصوله إلى حقائق لم تكن معلومة من ذي قبل. وغرضنا في هذا الكتاب

البحث الآن عما كان للنيل من المزايا الخاصة المترتبة على عقائد وتقاليد تداولها قدماء المصريين حسب اعتقادهم. فمن ذلك ما قاله هيردوت «إنما مصر هدية من هدايا النيل» وكلته هذه الصغيرة تشمل وادي النيل بأسره لأن النيل كشر يان الحياة بفيضاناته الدورية التي يعبر عنها في أقاليم الصعيد بلفظة «دميرة»

والبداهة ترشدنا الى أن مجرى النيل وما يحيط بشواطئه كلها جزء اغتصبته سطوة النيل من مجموعة الاقاليم، واختص هذا الجزء المغتصب بالمتعضيات الطبيعية من الخصوبة، فجاد بحسن الانبات وامتاز بالموقع الثمين وأحسن المجهودات الانسانية التي ابتدع الأهالي طرائقها ووسائلها في تقسيم المناطق الى بلدان وحيضان وحدائق، واتخذوا لكل موقع ما يناسبه من الاحتياطات الزراعية، ولم يشيدوا المباني في البلاد إلا بأما كن محدودة من أطرافها، لتكون مناطق المزارع خالية من عوائق التقسيم والترتيب وحرية الانتفاع، ويكون أهل كل قرية عوناً لبعضهم في حقوق الجوار والارتفاق وصد الطوارئ جرياً على عادة المجاملات التي كانت راسخة في أخلاق المصريين قبل أن يتغلب عليها التقليد الأجنبي الحاضر الذي أفقد النفوس كثيراً من مزايا التعاون والمحبة والاخلاص

وكان قدماء المصريين يعملون للنيل احتراماً اعتقادياً، لكونه السبب الفعال في صيانة أرواحهم من مهالك القحط والجذب، وانتشار الفاقة واستحكام الضيق، إذ كان عوام الناس وخاصتهم مقبلين على الزراعة والاعتناء بها أكثر من كل شيء. ولم يكن الاعتناء بالصناعات والأحوال الأخرى الأدبية إلا في بعض المدائن التي كانت تقوم بالحاجة الكافية لمجموع الأهالي، وبهذا كانت التجارات على جانب من الرواج وأولوا البراعة في العلوم كانوا على منتهى درجات الاحترام والتوقير، اعترافاً بفضلهم وتشجيعاً لذوى الاستطاعة على أن يحذو

النجباء حذوهم في فضلهم ومعارفهم . وكانوا يقدمون للنيل بمض اعتبارات كالعبادة ويسمونه ( حمبي ) أى الآله المقدس

وعدم إلمام المصريين القدماء بمعلومات عن منابع النيل كان شأنًا عامًا، ولا يمدونه تقصيراً في الوجهة العلمية . وقد لاحظ ذلك المؤرخ الشهير هيردوت الذى قدم لمصر قاصداً البحث ، وجمع الاستدلالات في هذا الشأن حتى قال لم يعرفنى أحد شيئاً من منابع النيل ، وأيدت رأيه أنشودة النيل القديمة التى كانوا يترنمون بها في المواسم والأعياد ويعترفون فيها « بأن النيل آت من الظلمات »

وذكر في كتاب الموتى « ان النيل مولود من رع » أى الشمس التى هى أكبر الآلهة عند المصريين القدماء . ويقرب من هذا المعنى أنه وجد مكتوباً في ورقة بردية ( من ضمن أوراق كتب التخنيط ) نصٌ بالمعنى الآتى (في بطاقة عند مقبرة أحد الموتى): « انك أيها الراحل في لحد الخلود ، سيفيض عليك النيل في مضجعتك الأخير أترأ من بركاته ، لأن ماءه آت من مدينة أبو ( أى جزيرة أسوان ) ، وهذا النيل ينفجر من هُوتِه ، هذا (نو) الخارج من ينبوع صخرى كأن الفيضان يفور من خزائنه والمياه تتدفق من ينبوعها » وقد قال المؤرخ هيردوت ان أمين معبد الآلهة ( نيت ) بمدينة سايس أخبره بأن بين مدينة (سبين) بطيبة ومدينة جزيرة أسوان جباين أولهما يدعى باللغة المصرية القديمة ( كروفى ) أى هوتِه والثانى ( موفى ) أى مياهِه . وبين هذين الجبلين تتفجر منابع النيل من هوة عظيمة وينصب الماء منها طبقاً لطبيعة الحواجز الصخرية هناك الى شطرين أحدهما الى مصر فى الشمال والآخر الى أثيوبيا فى الجنوب

وقد اجتهد هيردوت لما أتى مصر بمباحثه العلمية من الوجهة الجغرافية

وعالج كثيراً من طبقات الكهنة، فلم يوحوا له بشيء من معلوماتهم إلا فيما يتعلق بعظمته المشهورة ومكانته الراسخة في النفوس كمعبود يؤدون له فرائض العبادة والاجلال ما استطاعوا، وخصوصاً في الأوقات التي حددوها لذلك عند بدئه في الزيادة وبلوغه منتهى الفيضان ومبادئ تصريفه في الأقاليم، ورتبوا على ذلك الأعياد والمواسم الشهيرة التي لازالت تراعى في الاحتفالات والمظاهر السنوية ترحيباً بوفائه، وشكراً لما يندقه على الأرض من نعيم الخصوبة والرغد



وقد اكتشفوا في معبد بيلاق الذي شيده الامبراطور (تراجان)، واحتفظ عليه خلفاؤه من بعده رسماً يمثل لنا الإله حعبى (النيل) في مخبئه، وتفسير هذا الرمز انه يوجد فوق صخور مرتفعة عليها رسما الصقر والباشق، وفي حجرة يرى بداخلها هيكل إلهي لإله راعع، حاملاً في يديه آنية تخرج منها فيوضات النيل المباركة. ويجد الرائي مرسوماً على رأس الحجرة حية ملتفة على نفسها، وبين رأسها وذنبها منفذ ضيق لمرور النيل. وهذا الرسم فسره كاهن مدينة سايس للمؤرخ هيردوت بأنه منتهى معلوماتهم عن منابع النيل، فهو فيض من عند الله لم تصل استطاعة أمثالهم لاكتشاف أوائله غير ما هو مشاهد

للزائرين في أطراف وادى النيل . ويقصد الكهنة بذلك وقوف الأمة عند هذه النقطة وعدم التطلع الى مباحث أخرى

وكان علماء المصريين مع كثرة الرموز العلمية وسعة المعلومات المحفوظة في الصدور ، والمرموز اليها في بعض المخلدات الأثرية لا يسمحون لمعاصريهم ولا لزائريهم من فجاج الممالك بالتوسع في مباحث عن ينابيع النيل وأوائل مصدر فيضه ، لأنهم يعتقدون سعة البحث في ذلك ممنوعة دينياً ، وتعرض المشتغلين بها لحلول النقمات التي تنذر بها الكتب المقدسة ، كل من يسعى الى عمل يؤدي إلى كفر أو ضلال . وكانوا يعتقدون أن النيل فيض من البركات الالهية ينزل من السموات العلا الى عالم الأرض فيكون منها الرغد والسخاء وصلاحية الأرض لكل نبات يحتاجه الانسان في أدواره المعاشية . ولهذا كانوا يسمونه أب الالهة (أتف نثرو) . ولم يلتفت قدماء الباحثين من المصريين الى أسباب الزيادة في النيل في أزمئة الفيضان ، لاعتقادهم انه قدسى في تكوينه وفي تأثيره وفيما تبصر الخلائق عنه ، لأنه سر من فيض البركات الإلهية ، اختص الله بها هذا الوادى السعيد ، وجعله الى الأبد مصدر الرفاهية والسعة والإغداق بأنواع الأرزاق التي تنبى باحتياجات قاطنيه ، وبسد العوز لكل الطبقات التي تأوى اليه ويجدون فيه ومن سجايا أهله حرماً آمناً .

وقد اجتهد علماء المباحث المصرية عن النيل وينايبه ومصادره العليا ، مثل هيردوت وسترابون وديودور الصقلي ، وعلماء الرومان كالمتورخ بلين وسنيك وغيرهم من الفلاسفة ، فلم يستطيعوا سوى الوقوف عند ما ألقاه اليهم الكهنة عن عظمة النيل ، وان عجائبه ترجع الى قدسية مصدره الالهى ، فاضطروا للإذعان خاضعين لعقائد وتقاليد قدماء المصريين في شأنه ، ولم يتجاوزوا في مباحثه الى ما وراء الشلالات . والى ذلك أشار هيردوت بقوله أن النيل

يعرف مبدؤه بعد سفر أربعة أشهر سواء كان ذلك براً أو بحراً، وهي المدة التي كان يستغرقها المسافر في وصوله الى جزيرة اسوان .

واستمر الناس على الاعتقاد بان ينابيع النيل مما يسرع على الباحثين حل غوامضه الى عصر الرومان، فأرسل نيرون بعثة رسمية لاكتشاف هذه المنابع، فوصلت بعد مستنقعات واسعة الى صخرين تجري فيهما المياه فظنوهما المنابع الأولى للنيل وعادوا يتوهمون لأنفسهم الظفر بما لم يستطيع غيرهم الوصول اليه.

وقال بلين أن منبع النيل آت من موريتاني ( Mauritanie ) الواقعة شمال افريقية، وقال سنيك أن منبعه يتدنى في ضواحي مدينة بيلاق، وقال المؤرخ لوكين أن منبع النيل الحقيقي لم يعرفه أحد في العالم، وواقفه على ذلك المؤرخ اميان مرسلان أحد علماء القرن السابع للمسيح . وان منتهى ما وصلت اليه الاجتهادات وتجوال البعثات في رحلاتها أن منابعه آتية من بحيرات افريقيا الوسطى . وكان قدماء الباحثين يضربون الأمثال بمعرفة منابع النيل في استحالة الوصول الى غرض يرضى ويقنع الباحثين

وقال المقرئى في وصف مصر أن النيل يظهر على الأرض بقرب وادى القمر الواقع بقرب الاستواء . وقال جرانفيل أن النيل فردوس أرضى . ولا تزال هذه العقيدة عند قدماء النوبيين رغماً عن توالى السنين وظهور الاكتشافات العلمية التي تحتم بمقتضاها أن يتحول الناس عن عقائدهم الأولى التي توارثوها في أجيال ماضية

خطاب أحد رؤساء كهنة قدماء المصريين

الى يوليوس قيصر الرومانى

بشأن منابع النيل

من المعلوم أن حقوق الاستعمار تحتم على القائمين به البحث فى الأقاليم التى يحتلونها عن منابع ثروتها ومصادر رغدها وأساليب مجدها، ليتخذوا لهم فى هذه المصادر سطوة فعالة، لتخضع النفوس الى إرادتهم بدون أن يتجشموا فى هذا الاخضاع معاناة شاقة، لأن الاستعانة بما يعد من ضروريات الطبيعة فى ترويح الاستعمار من ضروب السياسة التى يتفنن فيها مهربهم لاجتذاب الشعوب وتسخيرهم. وعلى هذا المبدأ افكر الرومان أن يتخذوا أساليب الاستعمار المعتادة مع الكهنة البارعين فى عصر قدماء المصريين، وابتدأوا يخابرونهم عن مصادر النيل وينابيعه ليستدرجهم بعد ذلك الى صيرورتهم فى قبضتهم، وليبوحوا لهم بطرق الدهاء وأساليب السياسة عما استأثروا به علماً حتى يتوصلوا بذلك الى السلطة الفعلية فى هيمنة الأعمال وتسخير الظروف الى ما يشاؤون.

وقد جاء فى أنشودة النيل ما يشير الى أنه بطبيعته فيض سماوى، يحى به الله الأرض بعد موتها، وان ارتسام هذا المعنى فى خيالات الكهنة مكنهم من اختراع الروايات والأقاصيص ليحفظوا لأنفسهم مركز الاختصاص بالمعلومات الدقيقة، وليخلدوا لهيمنتهم على الشعب صفة أدبية أبدية

وقد روى الكهنة للمؤرخ اليونانى هيردوت فى القرن الخامس ق. م. وليوليوس قيصر الرومانى فى القرن الأول ق. م. أقاصيص نظمها الشاعر الرومانى ليكين (Lucain) باللاتينية، وسردها بأسلوب خطاب بعثه رئيس

كهنة قدماء المصريين الى يوليوس قيصر الروماني بشأن هذه الينايع ويحق لى التنويه بأنى أول من وفق إلى ترجمته الى اللغة العربية وإليك خواه بالاختصار .  
« أخطأ الأقدمون فى تعبیرهم بأن النيل يزداد فيضاناه عقب ذوبان الثلوج فى جبال اثيوبيا ، لأن سكان تلك الجهة من حرارة الشمس تبدو جلودهم سمراء ، كما أخطأ الزاعمون بأن منابع الأنهار المتكونة من ثلوج يذوبها الحر وتزداد فى أوائل فصل الخريف ، لأن النيل لا تبتدى زيادته قبل أن ترسل نجمة الشعرى اليمانية أشعتها إلى الأفق ، وقبل أن يتساوى فى ميزان الأفلاك زمن الليل والنهار »

« فنواميس النيل ليست كنواميس بقية الأنهر ، ولم يزد فيضاناه فى الشتاء . فبعد ابتعاد الشمس عن درجات المقارنة الألفية لها فى فصل الصيف تتدفق المياه بنسبة تعويضه عن ذلك . وقد اختص النيل بلطافة حالة الجو ، فهو يفيض فى منتصف الصيف حينما تكون منطقة الأرض الحارة مانعة عن الجيولة بتأثير القيط ، فىأتى النيل مساعداً للعالم فى ارجاء واديه ، وقد يتجه أمام وجه برج الأسد المتأجج بالحرارة ، ويبادر بلدة سين ( Syène ) المحترقة بروج السرطان فلا ترتفع مياهه قبل نزول الشمس فى الخريف ، ويتسع الظل فى بلدة مروى ( Mercé ) ( وهى بقرب شندى عاصمة المملكة المصرية بالسودان ) فلن يستطاع بيان السبب لسعة وادوار فيضك أيها النيل لأن القدرة الإلهية هى التى نظمته بقدر حاجة العالم اليك »

« وأخطأ القدماء أيضاً فى نسبتهم زيادة الفيضان إلى هبوب الرياح فى وقت طويل ، تكون الأمطار فيه مجبورة على أن تجود بقطراتها على هذا النهر وتدفعه بلا انقطاع الى المنافذ الكبيرة التى تسيل على شواطئ البحر الأحمر ، ولوجود حواجز أمامه تعوق سرعة انحداره ، ويتدفق فى الجداول والجهات

التي تستفيد مزارعها وحقولها لوصول فيوضاته اليها»  
«ومن الخطأ أيضاً التصديق بأقوال من زعموا أن فيض النيل ناتج عن  
قنوات مارة تحت الأرض ، أو ثقوب مفتحة الأفواه في حفر واسعة تنحدر  
اليها المياه في مسافات عميقة آتية من الجهات الباردة في الدب الأكبر وسط  
قطب الدنيا ، وإن حرارة الشمس لما تضعف عند بلدة مروى تجلب مياهها  
وتجذب النهرين الكانج والألب بمسالك خفية يقذف عندها النيل تدفقاته  
إلى هذه الأنهار في منبع واحد ، ولكنها لا تستطيع السريان في هوته فيدمج  
الأرض حين يفرها ، وينتزع من بعض طبقاتها الأملاح الكامنة في  
طول مجراه»

«وظن البعض أن الشمس والهواء يجتذبان الماء من المحيط ، ولما تصل  
الشمس الى المنطقة الحارة أمام برج السرطان ينشق المحيط ، ويأخذ مياهها  
أكثر من الجو ، وهذه الزيادة تنقلها الأعاصير إلى النيل»  
«وأرجوك أيها القيصر أن تسمح لي بأن أشرح لك تحليلات هذه المسألة  
المويسة فأقول :

« أن مياه النيل منذ بدء الخليقة تتسرب من عروق في الارض ، أوجدها  
الله لتكون مجراه الطبيعي ، تسيره القدرة الالهية بأنظمة وقوانين فوق مقدرات  
أمثالنا وأمثالكم . أتريد ياروماني معرفة منابع النيل ، وقد اهتم قبلك بالبحث  
في موضوعها الملوك المصريون الجبابرة والمعجم والمقدونيون منذ أجيال ، ولم  
يتغلبوا على قوة الطبيعة في شئ ، وأراد اسكندر ذو القرنين أكبر ملوك الأرض  
في عهده والمعبود الأعلى في مدينة ممفيس معرفة منابع النيل ، فأرسل بعثة في  
أواخر إثيوبيا ، وهناك عاقها حرارة الجوّ الملهب . وذهب سيزوستريس الى  
الغرب والى أقاصى الدنيا تبحر الملوك عربته وكان في استطاعته أن يشرب من

منابع أنهاركم (كالرون والبو) فإن ذلك أسهل عليه من أن يشرب من منابع النيل. ووصل كمبيز الأحق الى الشرق بين الذين يعمرون طويلا، ولما غابت عنه المؤونة ذبح رجاله والتهمهم بدون أن يعرف منابع النيل، ولم يستطع أحد في القصص والروايات الوصول الى مقر منبعه، ولم تدخر الأمم وسعاً في السعي الى اكتشاف منابع النيل. واني أدرك حكمة الآلهة الذين أرادوا صيانة مجراك أيها النيل، من أن يستطيع أحد الوصول الى منتهاك البعيد المدى، فانك تقوم وسط قطب العلم ناصباً شواطئك أمام برج السرطان المضطرب، فتسرى الى الجهات، وترتك فيها الشعوب القاصية والدانية، وتبحث القاصية عن منبعك ثم تعود مقهورة الى حقول اثيوبيا المرتوية من مياهاك الغريبة ويجهل العالم منبعك» «وقد أعطيت وحدك أيها النيل حق الامتياز لتسير من قطب لآخر.

يبحث الناس في بداية مجراك ونهايتك، تتسع مياهاك ثم تضيق لتحيط مروى، وسكانها قوم سود الوجوه يفتخرون بما باتهم المملوءة بخشب الأبنوس الكثيرة الأوراق، ولا يوجد هناك ظل يخفف حدة الحر ما دام برج الأسد يرسل حرارته على خط مستو على وجه الأرض، فتمر في منطقة الشمس بدون أن تضيع شيئاً من مائك. تدعو قريباً تحت طبقتك مياهاك المقسمة الى حدود قبائل العرب وأراضى ييلاق (فيلا) التي هي منتهى حدود مملكتك المصرية.

وعند ميلك تخطط الصحراء بمر التجارة بين البحر الأحمر وجبال ليبيا «أرتنا لجج النيل عند ما تتمد، فيلاق مجراها في مسيره عراقيل وشلالات سريعة تعترضها بمض الصخور في الصحراء، ولكن لم يوقف مياهاك شيء حينئذ تلقى الزبد حتى الكواكب، وكل شيء يخشى اضطراب أمواجك ويتدمر الجبل تحت يياضها احتراماً لأنك النهر الذي لا يقهر، وبعد ذلك تظهر الأرض المقدسة والصحراء المعروفة بشرايين النيل لأنها تبشر بالفيضان في

أوائله عقب أن أغلقت الطبيعة أبواب المجارى بمياهك المتشردة عن دخول بلاد ليبيا بمحاجر الجبال في هذا الوادى العميق الذى فيه يجد مجراك نظامه المألوف ويتقدم بهدوءٍ وسكينة، ويتدىء من مدينة ممفيس التى تسلم اليك حقولها وتفتح أبواب السهول والوديان، ولا يوجد على شواطئك حواجز تعتبر حداً لفيضائك «

### « بحث العالم القديم والحديث فى منابع النيل »

فوق المزايا العلمية والصناعية التى امتازت بها مصر فى قرونها الأولى قرون العظمة والاسعاد، والتفوق الباهر على سائر الأمم، خصَّ الله هذا الاقليم بالنيل المبارك، وهو أكبر المنن الالهية التى جعلت كافة مواهب البشر أمامها لا تكاد أن تكون شيئاً مذكوراً. فالنيل هو ينبوع الحياة ومهدُّ الارتقاء ووسيلة الحياة الخالدة ورغد العيش المزيء. فكلماً أمعن الباحثون فكرتهم فيما تقله أرض مصر من المعجائب الصناعية والهياكل والآثار والمباني التى قاومت العصور ظاهرة فوق بمض المواطنين وتحت بطون الأرض فى غيرها، يرتدُّ اليهم طرف مجهوداتهم الفكرية حائرًا ذاهلاً، كلما رأى النيل يتماوج باعاجيب المناظر ويتدفق فى مجاريه بأوفر الخيرات على بلاد أسعدتها الطبيعة بأن يفيض عليها من كنوزه وخيراته ما جعلها تمتاز بسعة الخصب وقوة النماء. وان أهاليها كلما جدُّوا فى الأعمال الزراعية، جادت عليهم بأضعاف ما كانوا يتمنون فى مبادئ أعمالهم، فينشطون على الدوام الى التوسع فى استخدامها بقدر ما تشجعهم عليه سعة الآمال، فلا ترضن الأرض بما استودعت من المزايا ولا تكمل السواعد ولا الهمم عن اجتناء أطيب الثمرات واحراز الأرباح الوافرة. وهكذا كان المصرى وبلاده فى دور نشأته الأولى وسعادتها الماضية كل على

صاحبه يجود بأقصى المنح ، فتجدد للأراضى زيناتها النباتية وتنوع لأقوام الشعب موارد ثروتهم المالية

كانت مصر بهذا الاعتبار مصدراً للمعجزات العقلية ، لأن خصائصها الشهيرة ومميزاتها المدهشة لم تجتمع في غيرها من الأقاليم ، وكفى أن منابع النيل وأدوار فيضه وتطورات انتقاصه واستمرار مجاريه على حالة لا تعوقها الرواسب ولا كميات الرمال التي تذررها الرياح في المناطق قد جعلت ألباب الباحثين حيارى . وطالما عاق الأقدمين الوصول الى حل مسائله العويصة ، ولكنهم وقفوا أمام أقاويل وآراء كل فريق يدلى فيها بحجته التي يؤيد بها رأيه على رأى مناظره وامتدت بالقوم العصور الغابرة بدون أن يصلوا في هذه النقط الى تمحيص نهائى يرفع النقاب ويزيل الشكوك

وروى في عصر فائتون الخرافى رواية أشبه الى الخيال منها الى الحقيقة ، إذ قيل فيها أن النيل كأنه لما رأى قرب الشمس من الأرض خشى من احتراقه بلبهها فأخفى رأسه فى آخر الكرة الأرضية . والى القرن السابع عشر ق . م لم تصل مباحث المؤرخين الى رأى سديد فى حقيقة ومبادئ منابعه

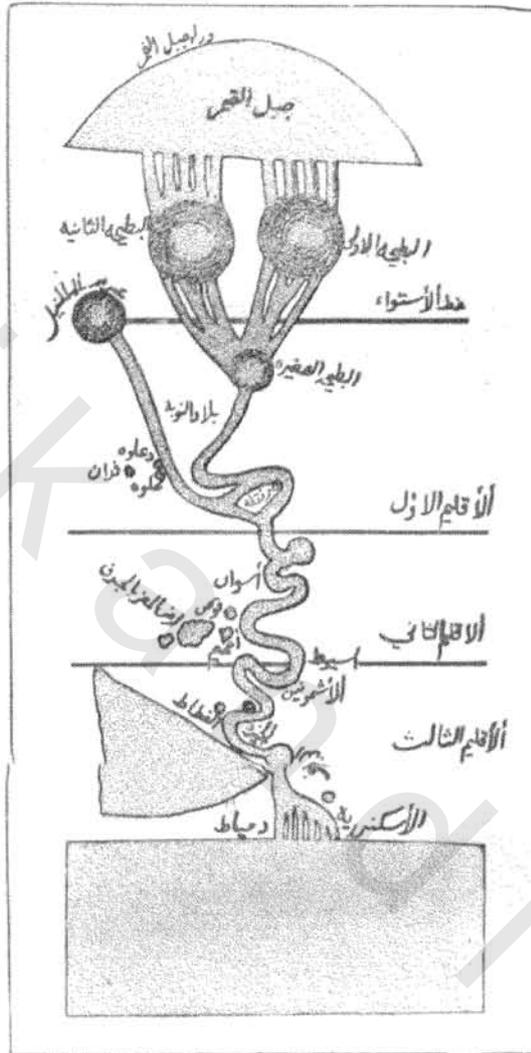
وقد أفرغ الفراعنة مثل سيزوستريس ( رعمسيس الثانى ) وغيرهم جهداً كبيراً من عنايتهم للوقوف على حقيقة الينابيع فاستطاعوا . ولما قدم الى مصر هيردوت وابتدأ مباحثه عن الينابيع لم يرشده أحد ، وذكر أن بسامتيك أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ألف بعثة مكونة من ٢٤٠٠٠٠ رجل ، وأمدها بكل ما تحتاجه لتسهيل العقبات فى مسيرها والوسائل الصناعية الأخرى فى ثقل الأحمال والمؤن والوسائل الدفاعية اذا صادفها شئ من ذلك ، وترتيب وصول المعلومات منها اليه عن الأقاليم التي تجتازها ، والمناظر التي اهتدت اليها ومعجائب الأودية والقبائل ، وأمدها بسعة الاغداق والمعونات

الكبرى لتغلب بالبذخ والسخاء والمعدات الكثيرة على انجاح مأموريتها، فقضت فيها بعض السنين وعادت من حيث أتت ولم تدون غير اكتشافات جغرافية عن بعض المواقع في تلك المجهول . ثم استحكمت هذه الفكرة لدى اسكندر المقدوني وكبير، ورتب كل منهم في عهده رحلة خاصة وأمدّها بأساليب أقرب في الوصول الى الغاية المطلوبة وأسهل منالاً في الاستكشافات والتوسع في المعلومات ، فعادت كباقي البعثات الماضية راضية من الغنيمة بالإياب وفي القرن الثالث ق . م . في عهد بطليموس افرجت ( Evergète ) تكلم المؤرخون عن منابع النيل ، فكانت آراؤهم متطابقة مع المعنى الذي أورده الشاعر الروماني في كتابه المعروف بالفرساي ( Versailles ) على لسان يوليوس قيصر أن النيل ينحني رأسه عن الانظار كخسفاء لا تبرح عن دالها مهما أطال اليها المشوق الضراعة والاستعطاف . فالنيل يستمر في مجاريه فياضاً متدفقاً بينما أفكار الباحثين تكدّ وتجهد وتعود بالملل والضعف

وفي القرن الأول ق . ب . أبدى « جوبا » ملك « موريتانيا » رأيه عن منابع النيل وتبعه فيه بلين وميلا والمؤرخ ديون كاسيئس وهو أن منابع النيل القاصية لتعمقها تحت الصخور والتجاويف العميقة بتلك الأودية والوهاد ، لا يستطيع أفراد البعثات التي تنتدب من أجله خوض غمار تلك المياه ، وفي هذه المنابع الفجوات التي تتفاوت بين الضيق والسعة والمنعطفات الطويلة إلا إذا تطوعت بحياتها للخطر الذي لا يحتمل معه عود بعض أفرادها لينبئ الباقين عما رأت عيناه ووعته ذاكرته من هذه المناظر وعجائب تكوينها

وقال بطليموس الجغرافي المولود في القرن الثاني ب . م . إن منابع النيل تلتقي في بحيرتين كبيرتين بأحاء خط الاستواء ، ولا يستطيع الغرباء التجول الى ما وراءها ، لأن الأذهان ممتلئة بالروايات المنفرة عن وجود الوحوش

والحيوانات الضارية التي تفتك بكل من أراد المسير في غاباتها أو مغاورها  
جاء العرب بعد اليونان خلفاء لهم في الاستعمار، وحكموا مصر واستولوا  
على بلاد النوبة وغيرها من البلاد المجاورة لمنابع النيل، وأحكموا صلاتهم  
التجارية والسياسية مع السودان وشعوب افريقيا الجنوبية، واتخذوا هذه  
التمهيدات وسيلة لوصولهم إلى ما عجز عنه أسلافهم في تلك الأقاليم المجهولة  
ومن مشاهير العرب الأجلاء الذين صرفوا وقتاً مديداً وعزماً صادقا في  
الوقوف على معلومات صحيحة بشأن منابع النيل الإمام الشهير احمد بن محمد  
ابن عبدالسلام المنوفي نسبة إلى منوف في نهاية القرن التاسع الهجري، وكان  
إماماً في العلوم الإسلامية وتواريخ الأمم، احترمه كثير من العلماء وأئمة البحث  
وعظماء الشعوب، وتقلوا عنه في مؤلفاتهم. وكان يثبت لتلامذته ان العلم  
الصحيح والتقوى توأمان، فمن لم يزد عقله بقوة الايمان الذي هو فوق نوايس  
الطبيعة يكون دائماً في تردد الخيرة والضلال. دون هذا المؤلف الشهير كتاباً  
عنوانه « الفيض الجديد في أخبار النيل السعيد »، وتوجد منه الآن نسختان  
خطيتان احدهما في دار كتب مرسيلا، والثانية في دار الكتب المصرية  
بالقاهرة، تكلم فيه عن منابع النيل وأصله واستمداده وطوله وعرضه، وتضمن  
ابحاثاً وافية فلخص منها ما أورده من الفوائد في الباب الأول (في الفصل الآتي)  
ثم جاء نابليون مصر مع بعثة علمية بحثت في أحوال البلاد وأمورها  
ودونت عنها مؤلفات كثيرة ولكنها لم توفق للبحث عن منابع النيل  
وفي سنة ١٨١٩ أرسل محمد علي باشا بعثة العلمية الشهيرة يرأسها  
جالاردو المهندس الفرنسي، فسافر الى الخرطوم وقال في مذكرته أن منابع  
النيل تبتدىء من جبال القمر  
وفي سنة ١٨٥٦ توسع في الاستكشاف كل من الباحث برتون وبيك



خريطة وادي النيل لبطليموس نقلها عن الخوارزمي

ويكر الى ما خلف بحيرتي (فكتوريا والبيرنيانزا)، وتحقق أخيراً انهما أم المنابع التي يتكون منها النيل . وقد ساعدت الاكتشافات الأخيرة رجال أوربا على التجول في أواسط أفريقيا، واستطاعوا الوصول الى قول عززوه يبراهين الاكتشافات والرحلات المتوالية في هذه الأقطار، وكلل النجاح سعيهم وكانوا مصداقاً للمثل القائل بأن من لازم السير في الدرب وصل الى مرحلة النجاح . (كما سيأتى بيانه تفصيلاً)

### « رأى العرب في منابع النيل »

وفاء بما أجزناه في هذا البحث نثبت هنا ما جاء في كتاب « الفيض الجديد في أخبار النيل السعيد » تأليف الشيخ العالم احمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي في ذكر منابع النيل الذي هو من اكبر الثقة في المباحث العامة ذكر المؤرخون في أصل منبعه من مبتداه الى منتهاه أقوالاً فقال اكثرهم ومنهم الحافظ بن كثير في تاريخه الكبير إن مبتداه من الجبل القمّر (بضم القاف وسكون الميم) أي البيض، ومنهم من يقول « جبال القمّر » (أي بفتح القاف) بالاضافة الى الكوكب وهي غربي الأرض وراء خط الاستواء في الجانب الجنوبي . ويقال انها صخور تنبع من بينها عيون ثم تجتمع من عشرة مسيلات متباعدة، ثم تجتمع كل خمسة منها في بحيرة، ثم يخرج منها أنهار ستة ثم تجتمع كلها في بحيرة أخرى ثم يخرج منها نهر واحد وهو النيل فيمر على بلاد السودان بالحبشة<sup>(١)</sup> ثم على النوبة ومدينتها العظمى دقله ثم

(١) تسمى كلمة الحبشة شعباً خليطاً أعطى هذا الاسم لهذه البلاد بسبب الشعوب المختلفة الذين أختلطوا بأهلها الأصليين . ونبشنا التاريخ أن الحبشة أستولى عليها بالتتابع الاثيوبيون وقدماء المصريين واليهود والعرب . اهـ

أعلى اسوان ، ثم تظهر على ديار مصر ويحمل إليها من زيادات أمطارها ، ويجرف من ترابها وهي محتاجة إليها معاً ، لأن مطرها قليل لا يكفي زروعها وأشجارها ، وترتبتها رمال لا تنبت شيئاً حتى يجي النيل بزياداته وطينه ، فينت فيها ما يحتاجون إليه وهي من أحق الأرض دخولاً في قوله تعالى : « أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه الأنعام وأنفسهم أفلا يبصرون » ، ثم يجاوز النيل مصر قليلاً فيفترق فرقتين عند قرية على شاطئيه يقال لها شطنوف وهي من عمل القليوبية ، فيمر الغربي منه على رشيد ويصب في البحر الملح ، وأما الشرقي فيفترق أيضاً عند جوجر فرقتين يمر الغربي منهما على دهياط من غربيها ، ويصب في البحر الملح ، والشرقي منهما يمر على أشمون طناح فيصب هناك في بحيرة شرقي دهياط يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دهياط<sup>(١)</sup> ، وهذا بعد بعد عظيم من ابتدائه إلى انتهائه ولهذا كان الطف المياه

(وقال ابن القيم في كتاب الهدى) : النيل أحد أركان الجنة ، أصله من وراء جبال القمر في أقصى بلاد الحبشة من أمطار تجتمع هناك وسيول يجر بعضها بعضاً ، فيسوقه الله تعالى إلى الأرض الجرز التي لا نبات بها ، فيخرج به زرعاً تأكل منه الأنعام والأنام ، ولما كانت الأرض التي يسوقه سبحانه إليها ابلت أصلبة ، إن أمطرت مطر العادة لم ترو ولم تنبت للنبات ، وإن أمطرت فوق العادة أضرت الناس والمساكن ، وعطلت المعاش والمصالح ، فأمطر سبحانه البلاد لعييده ثم ساق تلك الأمطار إلى هذه الأرض في نهر عظيم ، وجعل سبحانه زيادته في أوقات معلومة على قدر رى البلاد وكفايتها ، فإذا

( ١ ) بحيرة تنيس أو بحيرة دهياط معروفة اليوم ببجيرة المنزلة

( ٢ ) يقول جغرافيو العرب ان هذه البحيرة أصل نهرين الاول نيل السودان والثاني نيل مصر

روى البلاد وغمرها أذن سبحانه بتناقصه وهبوطه لتم المصلحة بالتمكن من الزرع  
وقال قدامة ان منبع النيل في بلاد القمر وراء خط الاستواء من عين  
تجرى منها عشرة أنهار كل خمسة منها تصب في بطيحة في الأقاليم الأول ،  
ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل

وقال صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ان هذه البحيرة  
تسمى بحيرة كورى<sup>(١)</sup> منسوبة الى طائفة من السودان ، يسكنون حولها  
متوحشين ، يأكلون من وقع اليهم من الناس . ومن هذه البحيرة يخرج  
نهر النيل ، وإذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى<sup>(٢)</sup> ثم بلاد قنّه طائفة من  
السودان أيضاً وهم بين كانم<sup>(٣)</sup> والنوبة ، ثم يفوص في الرمال ويمر تحت  
الأرض مكتوماً من الجنوب الى الشمال ، ثم يظهر ببلاد النوبة ، فاذا بلغ مدينة  
دقنة عطف من غربها الى المغرب ، وانحدر الى الاقليم الثاني ، فيكون على  
شاطئيه عمائر النوبة وفيه جزاير لهم متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى  
الجنادل واليه تنتهي مراكب النوبة انحداراً ومراكب الصعيد الأعلى صعوداً  
وهناك أحجار لا تمر المراكب عليها إلا في أيام زيادة النيل ، ثم يأخذ إلى  
الشمال فيكون على شقيه مدينة اسوان من بلاد الصعيد الأعلى ، ثم يمر بين  
جبلين هما مكتنفان لأعمال مصر أحدهما شرقي والآخر غربى حتى يأتي مدينة  
مصر وهي الفسطاط الذى بناه عمرو بن العاص ، فيكون على شقيه ، فاذا  
جاوزها اتقسم كما تقدم . قلت أى في قوله فيفترق فرقتين عند قرية على شاطئيه  
يقال لها شطنوف إلى آخر ما ذكره

قال صاحب الأقاليم السبعة أن النيل يخرج أصله من جبل القمر من

(١) تحوى بلدة كورى البلاد النابورة لقبلى كردفان

(٢) تندكانم قبلى شرق برنو البلاد المجاورة للنوبة

عشرة عيون، خمسة تجتمع في بطيحة وخمسة في بطيحة أى مكان منبسط من الأرض، ثم يجتمع بعد ذلك الماءان وذكر صورة جبل القمر وأنه مقدس وعلى رأسه شراريف (شُرُفَاتٌ عالية)

حكى ذلك عنه الشيخ العلامة شهاب الدين بن عماد رحمه الله تعالى في جزئه الذى جمعه في النيل وهو جزء لطيف جداً . وحكى فيه عن المسعودى أنه قال في كتابه ( مروج الذهب ) وأصل النيل ومنبعه من تحت جبل القمر ومبدأ ظهوره من اثني عشر عيناً وجبل القمر خلف خط الاستواء يعنى الذى يستوى فيه الليل والنهار، وأضيف الى القمر لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمة والبُدْوَى والمحاق

قال المسعودى فتنصب تلك المياه الخارجة من الاثني عشر عيناً الى بحيرتين هناك ، وهو معنى كلام صاحب الأقاليم في بطيحة

قال ثم يجتمع الماء منها جارياً ، فيمر برمال هناك وجبال ، ثم يخرق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج فينبع منه خليج ينتهى إلى بحر الزنج<sup>(١)</sup> انتهى ما أردته منه

ومن قال بأنه ينبع من جبال القمر السرج الكندى كما نقله عنه ابن عماد في جزئه المذكور ، فظهر بذلك أن أكثر المؤرخين على هذا القول كما أشار اليه صاحب الأصل بقوله فيما تقدم ذكر غير واحد من المؤرخين

وقال صاحب السكردان وفي أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال الثلج وهو يجبل (ق) ، وأنه يخرق البحر الأخضر<sup>(٢)</sup>

( ١ ) يقيم الزنج في الجزء الشرقى من افريقيا المعروفة باسم زنجبار

( ٢ ) دعا جغرافيو العرب النيل الشرقى تارة البحر الازرق وتارة البحر الاخضر .

بقدره الله تعالى ، ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير  
ما شاء الله الى أن يأتي بحيرة الزنج

قال الخاكي لهذا القول ولولا ذلك يعني دخوله في البحر المالح وما يختلط

به منه ، لما كان يُستطاع أن يشرب منه لشدة حلاوته

وقال قوم مبدأه من خلف خط الاستواء باحدى عشرة درجة . وقال

قوم مبدأه من جبال القمر وأنه ينبع من اثني عشر عيناً انتهى ما أردته منه

وقال ابن عماد في جزئه المذكور وذكر بعضهم أن سائر مياه الأرض

وأنهارها يخرج أصلها من تحت الصخرة<sup>(١)</sup> بالأرض المقدسة والعلم عند الله تعالى

انتهى . ولم يبين قائل ذلك وقد بينته في موضع آخر من جزئه المذكور فقال

وذكر الثعالبي في قصص الأنبياء أن جميع مياه الأرض يخرج أصلها من

تحت الصخرة انتهى . ويدخل في اطلاق هذا القول النيل وغيره

وذكر ابن عماد في جزئه المذكور عند كلامه في الاستدلال على أفضلية

النيل على غيره من الأنهار ، أن النيل يخوض في البحر المالح ولا يختلط به ،

بل يجري تحته متميزاً عنه كالزيت مع الماء ، قال ولهذا يظهر لركاب البحر

في بعض النواحي فيستقون منه للشرب وذلك في أماكن معروفة انتهى

ورأيت في مناقب أماننا الامام الأعظم والحبر المحترم الشافعي رضى الله

عنه لأبي القاسم بن غانم المقدسي حكاية عنه تدل على أن النيل يمر ببلاد الهند

وسياق كلامه في الفصل الثاني ان شاء الله تعالى والله أعلم

وكان بن طولون قد سأل شيخاً كبيراً من علماء القبط عمره مائة وثلاثون

سنة عن أشياء في أحوال مصر أين منتهى النيل في أعلاه ، فقال البحيرة

التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو الأرض التي الليل فيها والنهار متساويان

( ١ ) معبد الصخرة في جامع سيدنا عمر بمدينة اورشليم

طول الدهر ، وهي تحت الموضع الذي يسمى عند المنجمين الفلك المستقيم .  
قال وما ذكرت فمعروف غير منكور . قلت قد اختصر صاحب الأصل هذه  
الحكاية ، وقد نقلها الشهاب بن عماد في جزئه المذكور عن المسعودي فقال :  
قال المسعودي

« وكان احمد بن طولون في سنة نيف وستين ومائتين بلغه أن رجلاً بأعلى مصر  
من الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الأقباط ، ممن يشار اليهم بالعلم ، وأنه  
علامة بمصر وأرضها في برها وبحرها واجنادها وأجناد ملكها ، وأنه ممن سافر  
الأرض وتوسط الممالك وشاهد الأمم في أنواع البيضان والسودان ، وأنه ذو  
معرفة بأنواع هيئات الأفلاك وأحكامها ، فبعث إليه أحمد وأخلى له نفسه  
ليألى وأياماً كثيرة يسمع كلامه وإيراده وجواباته ، فكان فيما سأله عن طول  
الاحابش على النيل وممالكهم قال : لقيت من ملوكهم ستين ملكاً في ممالك  
مختلفة ، كل منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة . قال فما انتهى  
النيل في أعلاه فقال البحيرة الى آخر ما ذكره عنه صاحب الأصل والله أعلم  
وقال أبو محمد عبد الله بن احمد الاسواني في كتاب أخبار النوبة من  
أخبار النيل ، وما شاهدت منه ومن تشعبه وتقسيمه على سبعة أبحر من بدء  
علوه واجتماعه ببلدة مقره وتعطفه تعطفاً عجيباً قبلي مدينتهم واقتراشه ، وأنه  
يجرى بحرى دققة حتى يكون ما بين شرقيه وغربيه نحو أربعين فرسخاً  
ويتضايق بعد ذلك حتى يكون عرضه دون الخمسين ذراعاً ، وتكون الجنادل  
معتضة في غير موضع منه حتى يكون انصبابه في باين أو ثلاثة أبواب .

قال وقلعة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن  
فيها جبلاً معتزلاً من الشرق الى الغرب في النيل ، والماء ينصب من ثلاثة  
أبواب ، وربما يرجع الى باين عند انحداره شديد الخريف عجيب المنظر لشخور

الماء من علو الجبل ، وقبله مرسى حجارة في النقل نحو ثلاثة أبرد الى قرية  
تعوق يدسروهي آخر قرى ميرس وأول بلاد مقره  
قال أبو محمد عبد الله بن محمد الأسواني في كتاب أخبار النوبة عند  
ذكر ناحية يقرن ما نصه :

وما رأيت على النيل ناحية أوسع منها وقدرت أن سعة النيل فيها من  
المشرق إلى المغرب مسيرة خمس مراحل<sup>(١)</sup> ، الجزائر تقطعه والأنهار منه تجري  
بينها على أراض منخفضة وقرى وعمائر حسنة . انتهى .

قلت وطريق الجمع بين هذا وبين ما تقدم نقله عن صاحب خزانة  
التاريخ ان عرضه مختلف بحسب بلاد النوبة أيضاً . ففي بعضها كما قاله  
صاحب خزانة التاريخ أعني ثلاثة أميال فما دونها ، وفي بعضها كما قاله الأسواني  
أعني خمس مراحل وهذا جمع حسن ولا مانع من ذلك لأن سبيله المشاهدة  
والله أعلم

قالوا ومن وراء مخرج النيل الظلمة<sup>(٢)</sup>

قال أبو الخطاب وخلف الظلمة ضياء فسبحان العليم القدير . وفي تاريخ  
ملوك مصر أن الوليد<sup>(٣)</sup> أحد ملوك مصر من العماقة كان يعبد القمر وهو أول  
من تسمى فرعون ، وأقام بمصر مدة ثم عن له أن ينظر مخرج النيل ويعرف  
من بتلك الناحية من الأمم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك ثم جمع جميع  
ما يحتاج اليه واستخلف على مصر عوناً ، وتوجه فر على أم السودان ومر في

(١) أى عبارة عن مائة وخمسين ميلا

(٢) قبل الوصول الى سلسلة القاف الخرافية توجد جهة مظلمة تنبع الناس المرور وربما تصد  
المؤلف هذه البلدة الغربية .

(٣) أن الوليد هو ابن سانس الذى ذكره غرغوريوس أبو الفرج في تاريخه المختصر عن  
الاسر . وانه من ذرية الملك ابن اليفاز وحفيد الاساير الذى جعل أولاده يقيمون في أدومية  
الجاورة لارض مصر . وقبل عصر الوليد وفي عهد أبينا ابراهيم كان ملوك مصر يلقبون بالفراعنة  
(٤)

طريقه على أرض الذهب<sup>(١)</sup> وفيها أمة عظيمة ينبت الذهب في تلك الأرض كالقضببان . ثم سار حتى بلغ البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التي تخرج من جبل القمر وراء القصر الذي عمله هرمس<sup>(٢)</sup> ، وصعد على جبل القمر وراء البحر الزفتي الأسود ، ورأى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق وأتاه من ذلك البحر روائح منننة هلك بسببها كثير من أصحابه ، وذكروا أنهم لم يروا هناك شمساً ولا قرراً إلا نوراً أحمر مثل نور الشمس ، ثم توجه راجعاً إلى مصر وأقام بها مدة ، ثم ركب يوماً إلى الصيد فظفر به أسد فقتله ، ودفن في بعض الأهرام ومملك بعده الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه الكبير وأما ما يذكره بعضهم من أن منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولا عظيماً وجواري حساناً وأشياء غريبة ، وأن الذي اطلع على هذا لم يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذيانات الأفاكين

قلت هذا الذي قاله الحافظ بن كثير رحمه الله لعله أشار به إلى ما حكاه ابن زولاق في تاريخه عن بعض خلفاء مصر ، أنه أمر قوماً بالسير إلى حيث يجري النيل فساروا حتى انتهوا إلى جبل عال ، والماء ينزل من أعلاه له دوى وهدير لا يكاد يسمع أحدهم صاحبه . ثم إن أحدهم تسبب في الصعود إلى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك ، فلما وصل إلى أعلاه رقص وصفق وضحك

(١) روى الشريف الإدريسي : كان أهالي تاكرور بلدة واقعة في نهاية أفريقيا الغربية يعتقدون أن الذهب نبات . وروى أحد كتاب العرب حادثة غريبة في بابها ، وأثبت أن الذهب نبات في غير أفريقيا . وفي سنة ٣٩٤ هـ . كان محمود بن سبكتجين السلطان الأول من الأسرة الجازنقنديين يتنزه مرة في بلاد سجستان التي قهرها . فوجد في أحد جبالها شجرة من الذهب الخالص وأن طولها عند ثلاثة أميال تحت الجبال . ولكن في عصر حكم ابنه السلطان مسعود حدثت زلزلة فقلعت هذا الجبل وزال المنجم الذهبي . اه .

(٢) يعتقد الفرقيون وجود ثلاثة أشخاص معروفين باسم هرمس وعاشوا في عصور مختلفة ، وأن هرمس المذكور هنا ظهر بعد أبينا آدم بألف سنة ومشهور أيضاً باسم ادريس اه .

ثم مضى في الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ما شأنه ، ثم أن رجلاً منهم صعد لينظر ففعل مثل الأول فطلع ثالث ، وقال اربطوا في وسطى جبلاً فاذا أنا وصلت إلى ماوصلا إليه ، ثم فعلت ذلك فاجذبوني حتى لا أبرح من موضعي ، ففعلوا ذلك . فاما صار في أعلى الجبل فعل كفعالهم فاجذبوه اليهم فقبل أنه خرس فلم يردّ جواباً . فمات من ساعته فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك . انتهى

قال وقلعة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق إلى الغرب في النيل ، والماء ينصب من ثلاثة أبواب وربما يرجع الى باين عند انحساره شديد الخريف عجيب المنظر لشخوز الماء عليه من علو الجبل ، وقبله فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة أبرد الى قرية تعرف يدسير وهي آخر قرى مرسين وأول بلاد مقره

قال وأما هذه الأنهار التي مادة النيل منها والبحث عن ابتدائها والسؤال عن أوائلها ، فقد أكثر السؤال عنها من قوم عن قوم ، فما وجدت مخبراً يقول إنه وقف على نهاية جميع الأنهار ، والذي انتهى إليه علم من عرفني عن آخرين إلى خراب ، وأنه يأتي في وقت الزيادة في هذه الأنهار آلة المراكب وأبواب وغير ذلك فيدل ذلك على عمارة بعد الخراب

وقال الوطواط الكتبي في كتاب مباحج الفكر أن طول مسافته ثلاثة آلاف فرسخ ونيف وقيل أنه يجري في الخراب أربعة أشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام شهراً قلت هذا القول موافق لما جزم به ابن زولاق في تاريخه

وذكر صاحب درر التيجان أن من ابتدائه الى انتهائه اثنين وأربعين درجة وثلاثي درجة كل درجة ستون ميلاً ، فيكون طوله ثمانية آلاف وستمائة وأربعة وعشرين ميلاً وثلاثي ميل على الفصل والاستواء . وله تعويجات شرقاً

وغرباً فيطول ويزيد على ما ذكرناه . وقال صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : « وبين طرفي النيل مما ثبت في الكتب خمسة آلاف وستمائة ميل وثلاثون ميلاً »

وذكر صاحب خزنة التاريخ أن طوله أربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وسبعون ميلاً ، وعرضه في بلاد الحبشة والنوبة ثلاثة أميال فادونها ، وعرضه ببلد مصر ثلثاً ميل ليس يشبهه نهر من الأنهار . وفي تاريخ ابن زولاق ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة الى أن يخرج من جبال القمر خلف خط الاستواء ، قلت ما حكاه صاحب الأصل في تاريخ بن زولاق ادعى أبو قبيل الاجماع عليه ولفظه كما حكاه بن عماد في جزئه المذكور ما نصه . وأجمع أهل العلم على انه ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في الاسلام الى آخر ما تقدم ذكره وزاد فقال وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين غير نيل مصر انتهى والله أعلم

## أسماء النيل

من النصوص المصرية القديمة

كان قدماء المصريين يعتقدون ان النيل الذي تروى منه الأقاليم القبلية نيلاً خاصاً ، واطلقوا عليه ( حمب رسيت ) ويقولون انه لولاه لما استطاع النيل المخصص لرى الوجه البحرى ايفاء الحاجة لأقاليمه ، وحددوا النيل القبلى ( كاعنقادهم ) بأنه يبتدىء من جزيرة أسوان ، والنيل الخاص بالوجه البحرى دعوه ( حمب محيت ) ، وقالوا ان ابتداءه من منطقة الدلتا المعروفة قديماً باسم

بايلون التابعة لاقليم هليوبوليس وقد نقش في معبد ييلاق النص الآتى  
« ان نيل الوجه القبلى أبو الآلهة الخارج من مغارته ( جزيرة أسوان ) ونيل  
الوجه البحرى الخارج من خزائته »

ولما قدم لمصر هيردوت لمباحثه عن النيل ، وحادث فى شأنه الكهنة  
الصاويين حاولوا اقناعه بعقيدتهم هذه ، ولكن أظهرت المباحث الجغرافية  
والحدیثة انها لا تطابق الصواب .

وكانوا يرسمون نيل الوجه البحرى على شكل رجل فى ريمان الشباب ،  
ضخم الجسم ثقيل الكتفين كبير الثديين ، متشح برداء عليه أثمار النيل فى  
بلاد الوجه القبلى ولونها أزرق ، ويرسمون تمثال النيل للوجه القبلى على شكل  
رجل متشح برداء فوقه أثمار النيل الممثلة ببلاد الوجه البحرى ولونها أحمر .



وكانوا يطلقون على النيل أسماء كثيرة ، جعلوا منها اسماً مقدساً له وهو  
جمعي ، ونقش على حجر كانوب المحفوظ الآن بالمتحف المصرى فى القاعة  
حرف T تحت رقم ٩٨٠ وتحت العبارة الآتية « ان النيل جمعي نقص نقصاً  
عظيماً فى عهد الملك بطليموس .



والعامه كانوا يطلقون عليه اسم آيور . وقال بروكش باشا فى قاموسه  
الجغرافى ان كلمة آيور هذه مشتقة من كلمة (اور) المنقوشة على مسلة اسكندر  
ذى القرنين ، وجاءت فى اللغة القبطية باللفظ ذاته (يور — Your) أى النهر .  
وترجمت التوراة فى عهد أحد الملوك البطالسة وذكر فى سفر الخروج اسم النيل  
بلفظ آيور الذى يشبه فى النطق الاسم المصرى القديم . وقد ورد اسم نيل  
الوجه البحرى بلفظ (وعر)

وقال بروكش باشا ان كلمة (وعر) معناها باللغة المصرية القديمة المياه الغزيرة في وقت الفيضان . وقال لباج رينوف انه ورد النيل باسم عرتى ، وان هذا الاسم يشبه كثيراً الفعل (ار) الذى معناها باللغة المصرية القديمة صعد .

وبعضهم اعطى للنيل من الجانب الغربى للقاهرة اسم ايوما (أى اليم - البحر) ، وورد هذا الاسم في قصة شهيرة (تدعى قصة الأخوين) مكتوبة باللغة المصرية القديمة ، وفيها كثيراً ما أطلق على النيل هذا الاسم (اسم البحر) حتى اليوم

واسمه الأصلي مجهول ، وقيل انه مأخوذ من اللغة اليونانية التى نقانها من الشعوب الأجنبية كالفيثيين وقبائل ليبيا وأسيا الصغرى

ولما بطلت عبادة النيل زال اسمه المقدس (حعبى) ، وأطلقوا عليه لفظ البحر أو النهر . وجاء في قرار ممفيس المنقوش بالديموطيقية (لغة الشعب) ان النيل كان فيضانه منخفضاً في السنة الثامنة من حكم الملك بطليموس أيفان ، وذكر فيه النيل بالديموطيقية بلفظ ال (اى النهر)

وجاء في ورقة بردية تتضمن علوم المعبودين فتاح وتحوت تسمية النيل بهذا اللفظ أيضاً ، وورد في مسلة منقوشة بالخط الفارسى أن داريس أمر بحفر قناة من النيل وعبر عن اسمه بالفارسية (P-ir-ia) (ب - ار ع ا) فالباء أداة التعريف للمذكر المفرد بالهيروغليفية و (ار) يطابق (ال) بالديموطيقية (H-ir) ومعناه النهر و (ع ا) ومعناه كبير أى النهر الكبير أى النيل ووردت الباء أداة للتعريف للمذكر المفرد في كلمة يوم أى بحر فصارت بيوم ، والباء تقلب فاء فصارت فيوم أى مدينة الفيوم ومعناها البحر . وكذلك التاء فانها أداة التعريف للمؤنث المفرد في كلمة (مير) التى معناها فيضان النيل وبالقبطية ميرة فصارت بالعربية العامية (دميرة) أى فيضان النيل

وذكر في قصة سنننا المكتوبة بالديموطيقية اسم النيل (ن - إل) ومعناه النهر فالنون أداة التعريف للجمع المذكور «وأل) معناه النهر ويلاحظ أن اسم النيل شند قدماء المصريين يدعى (ار) أو (ال)، واشتق منه الديموطيقي بلفظ (ال) وكذلك القبطية، ولكن هؤلاء استعملوا الكلمة الديموطيقية (ن - إل - و) فالنون أداة التعريف للجمع المذكور كما تقدم و (ال) معناه النهر و (و) علامة للجمع. ومن كلمة نيلو اشتقت الكلمة اليونانية (Nilos) أما الصاد في (نيلوص) فيطابق الحرف السادس عشر من الأبجدية اليونانية

وليلاحظ القارئ النظرية الآتية القديمة العهد الغريبة في كلمة نيلوص (Neilos) التي ربما كانت من اختراع اليونان أنفسهم وان عدد أيام السنة المصرية (٣٦٥)، ومن الغريب إذا حسبنا كل حرف من كلمة نيلوص بحسب الجمل اليوناني، صار مجموعها الكلي (٣٦٥) وهو مجموع أيام السنة المصرية واليك جدولاً يتضمن هذا الحساب:

حروف Neilos حسب الأبجدية اليونانية

	عدد الجمل	
N	٥٠	
E	٥	٣٦٥ - ٥٠ الباقي ٣١٥
T	١٠	٣١٥ » ٥ - ٣١٥
L	٣٠	٣١٥ » ١٠ - ٣٠٥
O	٧٠	٣٠٥ » ٣٠ - ٢٧٥
S	٢٠٠	٢٧٥ » ٧٠ - ٢٠٥
	٣٦٥	المجموع

أن مجموع الأعداد المذكورة (٣٦٥ = ٥ + ٦ + ٣ = ١٤)، وهذا العدد هو الحرف الرابع عشر من الأبجدية أي النون والعدد الجمل ٥٠ كما تقدم وهنا للتقد مجال إذ من المبادئ المتبعة أن الكلمة تشتق من مأخذ

واحد فكيف يكون اسم نيلوص مأخوذا من اللغة السامية العبرية (نهر) ومن اللغة المصرية القديمة (ن - ال - و) أو من اسم مخترع مركب من الأعداد ٣٦٥. ومن السهل معرفة نتيجة شيء واحد وان كانت أسبابه كثيرة، فمن الممكن أن يكون اليونان قد سمعوا من الساميين لفظة نهر عن النيل، وتعلموا من المصريين أن فروع النيل التي تمر بالدلتا تسمى (ن - ال - و) أى الأنهر، ولكن من الصعب فهم أسباب كلمة نيلوص وهو ٣٦٥ الموافق تماما لعدد أيام السنة المصرية

وقيل إن لفظ النيل كلمة عربية مشتقة من نال فان النيل نوال من السماء وان الهنود نقلوا اسم النيل الى بلادهم ومنها النيلة (الصبغة) كما نقله قبلهم العجم والعرب الى لغاتهم

وجاء في تأليف الفيلسوف أراتوستين<sup>(١)</sup> (Aratosthène) أن أحد الملوك كان يسمى نيلوص ومن اسمه اخذ اسم النيل وقال بلين المؤرخ الروماني إن النيل يخرج من بحيرة تدعى نيلوص واعطى هذا الاسم للنيل نفسه

فيتضح مما تقدم أن كلمة نيل لم تجتمع آراء المؤرخين على حقيقة مأخذها بل تشعبت الآراء كما عامت، والذي أراه أن الأقرب هو أن النيل أخذ من لفظة نيلوص اليونانية المأخوذة من الكلمة الديموطيقية (ن - ال - و) أى الأنهر كما تقدم

(١) فيلسوف شهير من مدرسة الاسكندرية القديمة . ولد في سيرين (Cyrène)

سنة ٢٧٦ ق . م .

## سيحور

لم يكن سيحور اسماً للنيل كله عند قدماء المصريين كأثور وغيره ، بل كان اسماً لجزء منه وهو الجزء الواقع في الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى الذى كانت قاعدته مدينة ذور كما يستفاد ذلك مما وجد منقوشاً على جدران معبد ادفو باللغة المصرية القديمة ؛ فقد نسبت هذه النقوش على أن هذا الاسم (سيحور) كان عاماً على جزء من أجزاء النيل في الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى ، ثم توسعوا فى استعماله ، فأطلقوه على النيل كله من باب اطلاق الجزء على الكل كما يسميه علماء البلاغة ( بالمجاز المرسل ) ولهذا الاطلاق نظائر فى جميع اللغات

ويؤيد هذا ان شيحور ( بالشين المعجمة ) كلمة مصرية قديمة مركبة من كلمتين الأولى ( شى ) ومعناها بحيرة والثانية ( حور ) ومعناها المعبود وكان يطلق عليه حور أو هور أو حورس أو هورس وهو إله هذا الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى المذكور وكان رمزاً للشمس التى هى أكبر الآلهة عندهم فعنى شيحور اذن بحيرة حور أى بحيرة الإله المسمى بهذا الاسم

ومما ورد فى رواية مصرية قديمة « أن النيل يبتدىء من جزيرة اسوان ويمتد الى شيحور فيؤخذ من ذلك أن شيحور هو الجزء الأخير من النيل ، ويمكننا أن نقول أيضاً أن شيحور آخر الحدود المصرية القديمة

ثم لما أتى الاسرائيليون أرض مصر فى عهد الأسرة التاسعة عشر ، واختلطوا بالمصريين سرت اليهم كلمات كثيرة من اللغة المصرية القديمة وامتزجت بلغتهم العبرية ، ولذلك وردت بمعنى أسود واطلقوها على النيل

للدلالة على مياهه المكدره (بفتح الدال المشددة) وطميه « الطينة السوداء »  
الذى يتركه وقت فيضانه

وجاءت أيضاً كلمة شيجور في التوراة في سفرى ارييا واشعيا ويفهم من  
كلامهما أن المراد بها النيل أو جزء منه

وقد نطق بها « الزبور » فانه جاء فيه أنه لما أراد سيدنا داود نقل تابوت  
العهد الى مدينة اورشليم جمع الاسرائيليين المقيمين في البلاد من شيجور الواقعة  
في الجنوب حتى (أماث) الواقعة في الشمال . ويفهم من عبارة الزبور أن شيجور  
كانت الحد الناصل بين الأراضى المصرية وأملاك بنى اسرائيل

وفي سنة ٢٨٣ ق . م . ترجمت التوراة من العبرية الى اليونانية بأمر  
بطيالموس فيلادلف وسميت الترجمة السبعينية لأن الذين ترجموه كانوا سبعين  
حبراً من أحبار بنى اسرائيل ، ثم ترجمت بعدئذ الى اللاتينية ودعيت « فلجات »  
أى العامة (Vulgate) فترجمت لفظه شيجور بلفظ النيل . إذن فهم الأقدمون  
أن كلمة شيجور هى نفس كلمة النيل



ولا بأس من أن نثبت هنا خلاصة بحث جديد هو آخر ما اطلعنا عليه  
في نوعه للعلامة الجليل المرحوم احمد باشا كمال أمين المتحف المصرى سابقاً  
في رسالة أفردها بالبحث عن أسماء النيل واشتقاق التسمية فقال :

الى الآن لم يهتد أحد من الأثريين الى اسم النيل بالتحقيق ، بل وجدوه  
في العربية واليونانية فقال إنه مأخوذ من اللغة الفينيقية أو الآشورية الى نحو  
ذلك ، ووقف بحجهم الى هذا الحد نخرجه (جروف) بطريقة لا تنطبق على  
الحقيقة لما فيها من التكاف . ولكن هناك لفظ مصرى دال على النيل لأنه  
ذكر في الجدول الشامل لأسماء هذا النهر المبارك المنقوش على الآثار ، ونقله

بروكش في قاموسه الجغرافي (فراجعته في الصحيفة ١٤٠٨) وهذا اللفظ هو (ننو ويننو) ورد أيضاً في قاموس اللغة للأثرى المذكور (جزء ٣ الصحيفة ٧٧٩ وجزء ٤ الصحيفة ٦٧٨) وذكر كثيراً في النصوص المصرية، ونونه الأخيرة تقلب في العربية لأمّا إذا اريد مقارنته بالنيل كما سترى في الأسئلة الآتية من انقلاب النون المصرية الى اللام في العربية

- ن : حرف نفي في المصرية ويقابلها في العربية والعبرية لا  
نن : معناه الليل بقلب النونين لامين (وخلفه اشارة السماء من ينة بالنجوم)  
نن . ننو : الاء اللاتى اسم اشارة في اللغتين  
نز : لوز شجر معروف  
نت : التى ، الذى (لأن التاء تقلب ذالاً) اسم موصول في اللغتين  
نبن . نبنن : لبنى وهى شجرة الميعة أى المصطكى  
نخب : لقب والقاب الخ

اذا عامنا ذلك جاز لنا أن نقول إن (ننو) أو (نينو) هو النيل لأن هذا التخريج لا يخرج الكلمة عن المعنى الذى وردت بها في اللغة المصرية، اذ قد ذكر في ورقة هريس (Harris 1.48.9) نص معناه : قربان الأعياد الكبيرة لمبدء (ننو) أى القرابين التى كانت تقدم للنيل في مبدء الفيضان ، في نقوش دندرة عبارة معناها (Dent Hist. Ins. 29) دمهم مثل (ننو) أى مثل النيل وجاء أيضاً في صحيفة ٢٥٦ من قاموس بروكش الجغرافي هذا النص : جبلا (ننو) أى الجبلين المحيطين بالنيل عند الشلال الأول - (وننو) تطلق أيضاً في اللغة على جدول القسم العاشر في الوجه البحرى (راجع كتاب الجغرافية بروكش بصحيفة ١٥ و ٢٥٢ والجزء الثالث منه الصحيفة ٢٩)

أما اسم النيل المقدس فهو ( حعب ) و ( حعبى ) والباء فى المصرية تأتى لتضعيف الحرف الأخير

واعلم أن ( الحاء ) و ( النون ) و ( الراء ) تسقط فى بعض الكلمات المصرية وهذا أمر معلوم عند الأثريين فمثلاً كلمة ( أمن حتب ) اسم من أسماء ملوك مصر ذكر فى اليونانية باسم ( امنوفيس ) فان فاء الكلمة تحذف منه فى أول الى العربية فهو يقابل طاب يطيب طيبة والصفة منه طيب وطيبة الخ فكلمة ( حعب ) تقابل إذن فى العربية « عب » ( البحر عباباً : ارتفع وكثر موجه ) وعبت : مياه متفرقة ( وعباب ) معظم السيل وارتفاعه وكثرته وقيل موجه

واليعبوب ( قال أهل اللغة إن الياء فيه زائدة ) النهر الشديد الجريان والجدول الكثير الماء ( حعب ) أى ( اليعبوب ) اسم متداول كثيراً فى اللغة وذكر فى مدحة النيل التى كتبها ماسيرو وترجمها فى كتاب قصص العوام المصرية واليك مطلع هذه المدحة عن ترجمتى لا ترجمة ماسيرو

تعظمت أيها اليعبوب تنزهت أيها اليعبوب ( حرف النداء تحذوف كما يأتى ذلك فى العربية ) البارز فى هذه الأرض السائر لعيشة مصر مسيرك كمين ليلاً ونهاراً مسيرك ممدوح لأنه يروى الحقول التى أوجدتها الشمس ليعيش جميع الحيوانات ويروى الصحراء البعيدة عن الماء . نداءه هو السماء ( أى مياهاه من المطر لأن هوى السماء هو ما يهوى منها فى الماء أى المطر ) فالأرض تروم وتتقرب باحِب ( أى تجود بالمحصول ) الخ

أما أسماء النيل الواردة فى الجدول المنقوش على الآثار فهى اثنان وخمسون اسماً استعملت إما بوجه الحقيقة أو بوجه المجاز لعلاقات معلومة عند أهل اللغة قديماً

## فيضان النيل وأسبابه

عند قدماء المصريين

كان فيضان النيل الدوري أمراً هاماً لسعادة مصر، وأيقظ أنظار أولى الأمر اليه فجدوا في وسائل تحسينه، وإن هذا الفيضان الطبيعي الذي يفسره العلم الحديث بكل سهولة، كان في عقيدة قدماء المصريين دليلاً ساطعاً على أنه لا يتم إلا بعمونة وقدرة إلهية.



المعبودة إيزيس والاصل بالمتحف المصرى

قال پوزانياس المؤرخ اليوناني الجغرافي المولود في القرن الثاني ق . م ، إن المصريين اعتبروا النيل في بدء فيضانه مجموعة من دموع المعبودة إيزيس التي تبكى زوجها أزوريس . وقال لا باج رينوف يحتمل أن يكون هذا تقليداً قديماً ، لأن إيزيس وأختها نفتيس تسميان في كتاب الموتى بالنادبتين . وجاء في نصوص أخرى كثيرة أن مجرى النيل منسوب لإيزيس أو لمعبود آخر مثل سوتيس الشبيه بإيزيس . ومن الغريب ان جميع سكان مصر لا يزالون على اعتقادهم القديم ، بأن يوم ١١ من شهر بؤونة الموافق ١٧ يونيو تنزل فيه نقطة ، فتسبب فيضان النيل ولا زالت تعرف إلى الآن بليلة النقطة .

والجدير بالذكر هو معرفة أسباب الفيضان الواقع بأمر إلهي كما يعتقدون



المعبودة نفتيس  
والاصل بالملحف المصري

ينتظر المصريون أشهر الفيضان باهف وشغف ، فان تأخر قليلاً بسبب غير متوقع ، فزعت القلوب وخافوا من الدمار ، وتكسد الأعمال ، وتنتشر الأوبئة ، وتفتك بالناس فتكاً ذريعاً ، ويعقب ذلك اضطراب في الأحوال ، وتنضب ينابيع الثروة ، وتتوالى العداوات والمشاحنات بين الناس ، وقد يستبيحون الاعتداء على بعضهم . وحينما يأتي الفيضان ، تسكن تلك المخاوف وترتفع الشرور . ويستقبل الناس أسباب سعادتهم ، ووسائل رزقهم بالنشاط والبشاشة . فيقبلون على المستلزمات الزراعية ، ويعم الفرح القلوب الى درجة تقل معها نسبة الوفيات في

البلاذ عن اعتيادها في الأيام الأخرى ، وتقام للفيضان مظاهر الاحتفاء كأكبر الأعياد . ويظهر أن الفيضان يقترب بزمن ظهور نجمة الشعرى المعروفة بالشعرى اليمانية في السماء . وقد جاء في نقوش معبد دندرة أن سوتيس الإله يجلب الفيضان ، وإنه يشبه إزيس أم حورس التي تفيض من دموعها ماء النيل . وكان بمدينة أسوان معبد خاص لعبادة إزيس سوتيس احتراماً لذلك ووجد في بعض نصوص مصرية قديمة أن النيل يبتدىء فيضانه في أول السنة المصرية ، ويعرف بدؤه بظهور النجمة سوتيس في فصل الصيف في السنة المصرية القديمة .

وورد في ورقة هريس السحرية البردية أن ظهور النجمة المذكورة يوافق ابتداء الفيضان ، واتفق جميع المؤرخين على ذلك . وقال هيردوت وديودور الصقلي وبلين أن النيل يبتدىء في زمن انقلاب الشمس في الصيف واستدام جهل قدماء المصريين بأسباب الفيضان مع اعتقادهم بأنه من دموع إزيس ، وظنوه ناشئاً عن الرياح الشمالية . ولكن ديودور الصقلي خالفهم في ذلك ، وأبدى أن أمطاراً كثيرة تنزل في كل السنين ابتداء من الصيف حتى يتعادل الليل والنهار في فصل الخريف . ومن المقول جداً أن يخفض النيل في الشتاء ويزداد في الصيف من تهطل الأمطار التي تهبط عليه ، فهي التي تأتي دائماً إلى مصر من أثيوبيا ، فتملأ في الصيف مجرى النهر وهذه النظرية صحيحة ، وهي أصدق المعلومات عن السبب الوحيد في فيضان النيل الذي هو مصدر الحياة لمصر وقاطنيها .

تتراوح مدة الفيضان بين تسعين يوماً أو مائة (على رأى قدماء المصريين والأقباط) . ويبتدىء الفيض رويداً إلى يوم ٢٠ سبتمبر ، وهو أقصى مدته ، وتتغير مياه النيل أثناء زيادته ، فتكون خضراء في الأوائل حينما تقذف الزيادة

من مجاريها المياه الراكدة في مستنقعات بحر الفزال ونحوه ، ثم تصير حمراء قائمة مغبرة حينما تنزل من سطوح جبال الحبشة الرمضاء ، ومنها تتحدر الى النيل الأخضر والنيل الأحمر اللذين أشبهها ساكنى تلك الجهات المجاورة . وهذه التغييرات لم تمنع ماء النيل من صلاحيته للشرب . وقد جاء في أمثال العرب (على سبيل المبالغة) ان من شرب من ماء النيل مرة يشفق أن يشرب منه أبداً . وبالفوا من قديم في شهرته وخواصه ، حتى زعموا أنه يبعث الأرواح في الدار الآخرة . وذكر في كتاب الموتى أن من أكبر مشتهيات الميت الشرب من المياه الباردة الآتية من نهر الجنة الذي كان يشبه النيل

واعتماد قدماء المصريين كما اعتاد أبناء هذا العصر اعتبار النيل المورد الأول لحياتهم وأرزاقهم ، فيحتفلون بالفيضان ومستوى الزيادة احتفالات سنوية . فإذا تأخر فيضانه امتلأت المعابد بمن يؤدون الصلوات والتضرع ، ويقدمون الضحايا ابتهاجاً للآلهة في أن يجود النيل عليهم بفيضه المعتاد . فإذا أبطأ ولم يستجب دعائهم ، توجهوا الى فرعون ليضرع معهم في طلب الزيادة ، فيسمع النيل أمر أيه فيأتي فتعم الأفراح ويأخذ القوم في الاطمئنان على معايشهم ورخائهم .

النصوص المصرية القديمة الخاصة بالفيضان قليلة وما ورد منها لم يؤيد قصة سيدنا يوسف عليه السلام

وقد ورد في شاهد حجري ترجمه بروكش باشا انه وقعت بمصر مجاعة دامت سبع سنين ، ولم يتمكن الجزم بأنها هي السبع سنوات الواردة في نص التوراة أو غيرها واليك ترجمتها :

يقول الملك لرجال بلاطه : « أنا الملك حزين على عرشي ، وقلبي مغمم بالكآبة لتأخر النيل عن فيضه المعتاد سبع سنوات ، فأصبحت ثمرات

الأرض نادرة، وجفت الحضرة، واستحال كل شيء على وجه الأرض. انى أفكر كثيراً فيما مضى، وأنصرع معكم الى إِنْخَبِ بن فتاح الناهب الى منبع النيل لئمنحنا جميعاً الشفاعة والإغاثة بفيضه سريعاً»

وورد في حجر كانوب المحفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم ٩٨٠ بقاعة حرف T بالطبقة السفلى أنه فى عهد الملك بطليموس افرجت الأول سنة ٢٣٨ ق . م اشتد انخفاض النيل وحدثت بذلك الأهوال والمجاعة

وقال الفيلسوف سنيك : إن النيل لم يفيض سنتين ، أولاهما فى السنة العاشرة فى حكم الملكة كليوباترة . ويؤكد لنا كليماك أن النيل سبق أن تخلف فيضانه عن عادته تسع سنين لما قتل بطليموس بومباوس الرومانى (Pompée) الشهير ، حتى قال رجاله إن النيل لم يفيض غضباً لارتكاب هذه الجناية فى أرضه

وقد يتجاوز النيل فى زيادته الحد المعتاد ، وأحياناً تبلغ الزيادة الى درجة الخطر فتكون البلاد تحت لطاق الحصار ، وتهدم مبانيها وتفسد مدخراتها الزراعية ، وتتعطل المواصلات ، وياجب المستطيعون الى النجاة بأرواحهم آبقين الى الأراضى العالية أو حواجز الجبال ان كانوا قريبين منها

وفى أنشودة النيل عن تأخره بمض السنين ، ما يثبت أن تأخير فيضانه كما يضر بالأدى والحاصلات الزراعية المدخرة ، يؤذى البهائم أيضاً ، لأنها لا تجد ما تعودت الاقليات به من الحشائش ونحوها التى كانت تجوب الأودية فى طلبها قبل أن يغمرها الفيضان ويقطع عليها السبيل

ووجد باللغة المصرية القديمة فى جدران فناء معبد أمِنْخَبِ الثالث بالأقصر أنه حصل فيضان زائد فى عهد الأسرة ٢٢ ، فامتنع الناس عن حفلات المعبد ، وخربت الأرض وما فيها ، ولم توقفنا الآثار على شيء من هذا القبيل

في العصر الفرعوني ، ولم يذكر لنا شيئاً مؤرخو اليونان والرومان ، بل أجمعوا على مدح جمال مصر في أزمنة فيضانها المعتادة ، وان به يتغير منظر البلاد ويتلطف ميزان الحرارة في الجو

وقال سنيك الفيلسوف : « ما أبدع منظر مصر وقت فيضان نيلها على الأودية والحقول » وقال هيردوت : « إن مصر تصير بحراً في ذلك الوقت وأن النيل اذا بلغ ارتفاعه ١٥ أو ١٦ ذراعاً اعتبر الفيضان مباركاً وأيدت هذه الأقوال المعلومات المستفادة من الأوراق البردية ، والنقوش الموجودة على الحجارة الأثرية



نيل مدينة تانيس

تمثالان يتنانان نيل الوجه القبلي ونيل الوجه البحري وهما يدملان أنهار النيل من الأسماك والطيور المائية وزهرة اللوطس ويقدمانها هدية لملك مصر .  
والاصل بالمتحف المصري بالطبعة السفلى بالطرفة | رقم ٥٠٨

ومتى انتهى الفيضان ، أو كما يعبر قداماء المصريين في لغتهم لما تخرج الأرض من الماء ، يباشر الفلاح الزراعة ، فتغطي الخضرة وجه الأرض ، وتصبح على سعتها بساطاً سندسياً يبهر النواظر ويروق الألباب

وإذا بلغت زيادة النيل أكثر من ذلك ، تعطلت مواعيد الزراعة ، وإلى هذا أشار مارييت باشا في قوله : إن مصر كما تهتز بالجزع إذا تأخر الفيضان فكذلك يعمها الضرر إذا كان فيضانه زائداً عن الحالة المألوفة . ولهذا فحياتها تتوقف على اعتداله في مجيئه بأونة الحاجة إليه وعدم زيادة فيضه عن قدر هذه الحاجة .



التنبؤات المصرية القديمة الخاصة بالنيل

## ورقة انسطاسى البردية أو

سفر ابوور المتنبى المصرى القديم

منذ ٤٠٠٠ سنة

بلغت العناية بأمر النيل فى مصر اجترأ كثير من المتصدرين للبحث والعلوم على تنبؤات كثيرة فيما يختص بزيادته وتقصانه وما يعترى الأمة فى أدوار القحط من الانزعاج والألم والانكماش . وكان من تصدر عنهم هذه التنبؤات يجهرون بها بين يدي الفراعنة فى وقتهم ، ويتلقاها الناس بتشوق شديد ، وحرص مستمر لمقارنة الحوادث وتطبيقها عند وقوع شىء منها بما يكون منافياً أو مؤيداً لهذه الأقاويل . ومن ذلك ورقة انسطاسى البردية التى توجد فى متحف لندن تحت رقم ٣٤٤ ، اشتهرت بورقة انسطاسى لأنه هو الذى اكتشفها فى مدينة ممفيس بالقرب من سقارة ، وابتاعها منه متحف لندن سنة ١٨٢٨ مكتوبة بالهيراظيقية من وجهيها ويرجع عهدا الى عهد الأسرة ١٢ أو ١٩

ومما اشتملت عليه قول ذلك المتنبى أنه سيأتى على مصر دور تقل فيه مياه النيل ، ويتبع ذلك كساد الأحوال ، وتنتشر الأوبئة وحوادث الثورات واراقة الدماء ، ويتغلب الصعاليك على الأعظم ، وتتعدد الحروب الداخلية ، ويتوالى الانقلاب ، وتسود بعض العناصر المنحطة ، وتفرد بالسيطرة ،

ونهب الأموال من ساداتها ، وتكثر نساءهم من التجميل بنفائس العقود والقلائد ، وتحل التعاسة ببعض الطبقات الراقية حتى يعوذها طلب القوت ، وتكثر الدخلاء حتى في العلماء ، وتنتهكُ أماكن العبادة ، وتعطل الشعائر . فالويل كل الويل لمن يجعل في عصره أقل امكان لوقوع أقل شيء من هذه الشرور ثم تنتهي تلك الدورة المؤلمة ، ويسود السلام ، ويعود النيل الى فيضه المعتاد ، وتسترد الأرض بهجتها ، وتعود الى النفوس مكانتها على يد من يسخرهم الله لسعادة الانسان »

ومن هذه الأساطير وأمثالها يعلم أن عظماء الفراعنة وأئمة الباحثين كانوا يعلقون كل شيء في مستقبل البلاد على فيض النيل وانخفاضه ، ويرتبون نتائج الخير على بركات الفيضان ، ويتشاءمون بكل حوادث الشر في السنوات التي يكون فيض النيل فيها بطيئاً أو منخفضاً ، ولا تنكر أن حياة مصر قديماً وحديثاً تتفاوت في الرخاء والنعيم بقدر ما يغمرها به نيلها المبارك أدامه الله لها مستفيضاً بالخيرات والسعادة ، ووفق رجالها العاملين الى الصالح العام في كل أدوارهم الكريمة

### أعمال ملوك الأسرة ( ١٢ ) في النيل

اشترك الفراعنة مع الشعب في عقائده نحو النيل ، وفي الاهتمام بكل شؤونه كواجب فطري تألفوه بالتوارث ، ثم رأى الممتازون منهم بقوة الفطنة وحب الاستطلاع والتشوق في زيادة المزايا العمرانية التوسع في المباحث ، فابتدأوا بانتداب المتعلمين في العلوم الفنية ، فأرسل بعضهم مهندسين للشلالات لحصر الارتفاعات التي وصل إليها النيل في مدد الفيضان ، ليقوموا

بنسبتها الجسور ، ويشيدوا الخزانات . وباتمام هذه الاصلاحات النظامية سميت مصر قديماً الأرض المرواة أو المتصلة بالقنوات ، أو الأرض السوداء ولا غرو في ذلك لأن مصر أرض زراعية ، والزراعة هي الوسيلة للثروة ، وحياة الزراعة تستلزم العناية بالمياه في الايراد والصرف كيلا يضيع جزء منها في أراض مهمله ، ولا تحرم الأراضى الزراعية الخصبه من كفاية المياه لريها واتماء مزارعها . وعرف قدماء المصريين ان مياه النيل المتدفقة بالفيضان ، تنقل كل عام كميات من الطمي النقي الذي يمنح الأرض زيادة في الخصوبة وجودة في الزراعة ، فاجتهدوا في توصيل هذه المياه بمحتوياتها الى الجهات القاصية ، لتأخذ حظها مما تجود عليها به طبيعة الفيض . فالعناية بموازنة المياه في الاستجلاب والصرف ليست من الوسائل الحديثة أو من مبتكرات الأجيال الأخيرة كما يدعى الزاعمون ، بل إنها من مجهودات الأفكار المتوالية في عهد الفراعنة ، فامتازت الأرض بكثرة الانبات وتعدد المحاصيل ووفرة الثمرات منها باسباب ترجع إلى توفر المياه ، والى فاعلية الشمس وحرارتها ، واعتدال العنصر الأرضى ، حتى أن الحبة الواحدة قد تبلغ في الانبات الى مائة حبة ، فكانت مصر أمام بقية الممالك أشبه بخزائن حاصلات لكثير من الممالك ، وكانت تمد كمستودع الأرزاق للعالم الرومانى مثل بلاد توميدي

وقد جاء في التوراة أن ابانا اسحق أرسل ابنه لمدينة ممفيس لاستجلاب القمح . وكان الفيضان الدورى يخفف عن الفلاح معالجة أرضه فتجود عليه بالحبوب والحاصلات الوفرة ، وهو لا يتكبد الا تخطيطاً بسيطاً في مواسم التقاوى وانتقاء أنواعها ليجنى من حسن نقاوتها وتوفر مياه الري لديه خيرات وافرة .

ووضعوا في تلك العصور الماضية اللوائح والقوانين المشجعة على التحسين الزراعى ، ومكافأة المجتهدين مكافأة مالية ليقتدى بهم الغير . وكانت الأراضي تقسم بين المزارعين بنسبة أفراد العائلات وخبرتهم الزراعية اذا كانت مساحة الأرض على سعة تمكن من كل ذلك ، ومدّ الجداول وانشاء المجارى ونحوها رغبة في تعميم الفائدة وتسهيلاً على الزراع فيما تشتد حاجتهم اليه

وكان كل عصر من الفراعنة يفتخر بما أحدثه من أنواع التحسينات ، ولا يصرفه الاهتمام بما أحدثه عن دوام العناية بما استجد منها في عهد أسلافه رغبة في تخليد المنفعة لدويها ، وابقاء الذكر الحسن لمن أدّى للبلاد عملاً مشكوراً ، لأن الجسور ونحوها ان لم يتعمدها ولاة الأمور بالعناية والاصلاح والقنوات والمجارى ، وان لم يتخذ نحوها الترميم والتطهير كل سنة في الوقت المناسب له يترتب على تركها انحطاط درجة الأرض من الخصوبة الى الجذب ، وتحول حالة الملاك من السعادة الى الشقاء

وقد عثرنا على نص رقيم حكومى صدر في عهد الملك سنوسرت الثالث يأمر بترميم قناة وهذا نصه : ( دلالة على ما سبقت أشارتنا اليه ) : « في السنة الثانية من حكم ملك الوجهين البحرى والقبلى الملك سنوسرت ، الحى الارادة الدائم الذكر ، أمر بانشاء قناة جديدة طولها مائة وخمسون ذراعاً وعرضها عشرون ذراعاً وعمقها خمسة عشر ذراعاً »

ووجد منقوشاً على شاهد أقيم للملك تحوتس الأول : « انه في السنة الثالثة من حكمه ، وفي اليوم ٢٢ من الشهر الأول من فصل الحصاد ، أمر الملك المعظم بحفر هذه القناة ، شكراً لمعونة الرب الأعلا ، وإسدائه بالنعمة على شعبه بمناسبة فوزه بالنصر والفوز على بلاد كوش . »

وفي عهد تحوتمس الثالث أنشئت قناة أخرى بعد ما أن ملأها  
الحجارة . وفي هذا المرسوم نص بالزام من يزاولون مهنة الصيد في جزيرة  
أسوان بتطهيرها سنوياً ، لأنهم هم الذين يترددون عليها لأعمال الصيد بالزوارق  
وغيرها يتسببون في انهيار ميول الجسور تساقط الحجارة حولها حسب  
مستلزمات مهنتهم ، فمن العدل انهم كما يفتنون الأرباح بالصيد منها يتكبدون  
بعض الاجراءات الواجبة لتطهيرها وصيانتها حتى لا تنطمس مجاريها ولا  
تتعطل الانتفاع بها

وقد وضعت في عهدهم القوانين الشديدة بالعقوبات الرادعة ، والجزاءات  
الزاجرة لمنع الناس عن إحداث أى ضرر بمجارى المياه وطرق المواصلات ،  
وعدم مس الأعمال الزراعية والمحاصيل أيضاً بأى ضرر أو تلف ، لأنها في  
واقع الأمر أعدت لمنفعة المجتمع العمرانى . وليس قيام الأفراد بالخدمة والزراعة  
فيما يكون تحت ملكيتهم إلا من أنواع التعاون الضمنى ، لأن كل فرد يؤدي  
خدمة شخصية ترتبط بالمنافع العامة يعتبر خادماً للمجتمع وإن لم يقصد هو  
في عمله هذه الملاحظة

وقد وجد في نصوص الكتاب المقدس في كتاب الموقى ما يؤيد هذا  
الاهتمام الحكومى الذى تتناقله الأجيال : « انى لم أقطع قناة في ممرها ، ولم  
أخالف نظام الري ، ولم أتلغ الأراضى الزراعية »

وقد وجدت نقوش في قبور الأمراء بأسبوط تدل على الأعمال التى تمت  
لإصلاحات النيل في عهد الأسرة المراقلوبولتية . وفي هذه النقوش إشارة الى  
أن الملك نختى الأول يفتخر باستيلائه على المياه وحسن التصرف فيها كيفما شاء  
ولم تكن في الوجه القبلى إلا أراض منحطة ، فاهتم بحفر قناة كبيرة في الأراضى  
الشرقى ، وأقام لها أبواباً ، وغير مجرى المياه القبلية ، فوصلت إلى حد لم تبلغه

المياه قبلها ، ومكن حدود القناة ، فارتوت منها بلاد كثيرة ، وجعلت الهضاب المرتفعة بحيرات ، وصار النيل يغمر الجزائر ، وأصبحت الأراضي الجذباء ذات خصب ورغد ، وكل الأراضي التي كانت في الماضي محرومة من الري النيل ، فأهلها ينسبون الفضل في سعادة حالهم وصفاء عيشهم الى الملك سبتى الأول ، الذي حفر قناة تمّ بها الاتصال من فرع النيل الثاني الى بو باستيس بالبحيرات المرة ووادي طيبة . وأمّ القنوات التي تمر بقرب قبطوس ذكرت في قصة ساتى خمائيس

وكان البحر اليوسفي في الحقيقة فرعاً للنيل في الجهة الغربية يبتدىء من أسيوط وينتهي الى الدلتا

وقد أتمّ الملك نحاو الثاني ابن الملك بسامتيك مشروعات كثيرة في الري ، ووضع مشروعاً جليلاً لإنشاء قناة تصل البحرين ، ولكن هذا المشروع لم يتم في أيامه والذي وفق لإنجازه هو الملك داريس الفارسي ، وقد نقش اسمه في شاهد شالوف بالفارسية ونصه كالآتي « أمرت بحفر هذه القناة تبتدىء بالنيل من مصر الى البحر الأحمر

وذكر هيردوت ان الفمين البولبستيكي والبيكوليكي لم يكونا طبيعيين ، ولا بد أن تكون يد الانسان العاملة في العمران قد خطتهما ، فان الفراعنة أنشأوا قنوات كثيرة للبلاد ليسهل على أهلها الانتفاع بالمياه الوفرة لرى الأراضي وكافة الاحتياجات البشرية . واقتنى اليونان والرومان آثار الفراعنة في إصلاحات الري ، وكانوا يمتنون بتطهير الترع من رواسب الرمال والحجارة . وأول من افترض على الأهالي القيام بهذه التطهيرات هو أكتاف

أغسطت (Octave Auguste) ، وكان يراعى تقسيم الأعمال بينهم بمراعاة  
قرب أهالى كل جهة من القسم الذى يكفون بتطهيره .

وفى الأوراق البردية ومن بينها ورقتا باريز وبرلين ان الملوك بطليموس  
فيلادلف وافرجت الثانى ايفان وتراجان وجستينيان كانوا يعتنون سنوياً  
بتطهير الترع وتقوية الجسور ، ويكفون مراقبين فنين بدوام المرور عليها ،  
وإيضاح ما يحتاج علاجاً ، فيبادر لاتخاذها ولو قبل المواعيد المعتادة فى الميزانيات  
السنوية وجداولها

وروى أنه فى السنة الثانية (سنة ١٩٨ ق . م) من حكم الملك افرجت الثانى  
بلغت شدة الفيضان درجة قصوى ، أغرقت كثيراً من الأودية والصحارى ،  
فقام الملك بنفسه للاشراف على الأعمال المتخذة لتخفيف المضار والعناية  
بتقوية جسور النيل وسياج الترع وتجديد المصارف بين المسافات ، حتى  
أوقف طغيان المياه ، واطمأن باله بنجاة البلاد من الخطر



## زيادة النيل ونقصانه وأطواره

في عهد العرب<sup>(١)</sup>

تقلا عن كتاب «تقويم النيل» لحضرة العلامة الجليل أبيه باشا سامي

التاريخ		
هـ	م	
وصل النيل في نهاية الفيضان الى ١٢ ذراعا و ١٦ أصبعا	١٥٢	٧٦٩
غار نيل مصر ولم يبق منه شيء فقلت الأسعار بسبب ذلك	٢٧٨	٨٩١
غلق النيل ١٦ ذراعا	٢٤٩	٨٦٣
وصل النيل الى ١٤ ذراعا و ١٦ أصبعا	٣٣٣	٩٤٤
قصر النيل فوق البلاء والغلاء	٣٤٢	٩٥٣
وصل النيل الى ١٥ ذراعا وهبط	٣٥١	٩٦٢
» » » ١٥ » و ٤ أصابع وهبط سريعا فوق الغلاء تسع سنين متوالية	٣٥٢	٩٦٣
وصل النيل الى ١٥ ذراعا وأصبعين	٣٥٣	٩٦٤
وصل النيل الى ١٦ ذراعا ولم يفلقها وهبط سريعا	٣٥٤	٩٦٥
» » » ١٤ ذراعا وأصابع وهبط سريعا	٣٥٥	٩٦٦
» » » ١٢ ذراعا وأصبعا فاستمر الغلاء الى سنة ٣٦٠ فلما دخلت سنة ٣٦١ حصل الوفاء وأخصبت الأرض وتحسنت الأسعار	٣٥٦	٩٦٧
أوفى النيل الوفاء التام وأخصبت الأراضي بالزرع	٣٦١	٩٧٢
قصر النيل عن الوفاء فوق الغلاء	٣٨٧	٩٩٧
وصلت الزيادة الى ١٦ ذراعا وأصابع فروى بعض الأراضي	٣٩٥	١٠٠٥
وصلت الزيادة الى ١٣ ذراعا فاستسقى الناس مرتين	٣٩٧	١٠٠٦
وصلت الزيادة الى ١٤ ذراعا وهبط سريعا فوق الغلاء	٣٩٨	١٠٠٧
فتح الخليج في ١٥ توت والماء على ١٦ ذراعا ثم نقص فوق الغلاء بمصر	٣٩٩	١٠٠٨
نقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر	٤٢٢	١٠٣١
قصر النيل عن الزيادة ووقع الغلاء بمصر	٤٤٤	١٠٥٢
» » » » » » » »	٤٥٧	١٠٥٥
انقطع ماء النيل فعمّ الوباء والقحط	٤٤٨	١٠٥٦

(١) وأما السنون الغير مذكورة هنا فهي سنو خصب فلذا ضربنا صفحا عنها

	٢	٥
وقع الغلاء العظيم بمصر واستمر سبع سنين يزيد في الأول الى ١٢ ذراعا ثم ينقص وكانت القاعدة ٣ أذرع و ١١ أصبعا	١٠٥٩	٤٥١
نقص النيل في هذه السنة والتي بعدها فكان الغلاء العظيم الذي لم يسمع بمثله من عهد يوسف واشتد القحط والوباء سبع سنين وكان مقدار النيل ١٦ ذراعا وأصبعا	١٠٦٨	٤٦٠
فتح الخليج يوم ١٧ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا ونقص في ١٣ بابه	١٠٧٣	٤٦٦
فتح الخليج يوم ٢٧ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٨ أصبعا	١٠٧٨	٤٧١
فتح الخليج يوم ٢٠ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٩ أصبعا	١٠٧٩	٤٧٢
» » » ٥ توت » » ١٥ » ١٥ و »	١٠٨٠	٤٧٣
» » » ٢٥ مسرى » » ١٥ » ١٨ و »	١٠٨١	٤٧٤
بلغ الماء في ٢٥ توت ١٤ ذراعا ولكن كانت نهاية الفيضان في هذه السنة ١٥ ذراعا و ١٠ أصابع	١٠٨٢	٤٧٥
فتح الخليج في ٢ النسيء ونقص في ٩ بابه	١٠٨٣	٤٧٦
فتح الخليج في ٢٤ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا	١٠٨٤	٤٧٧
نقص في ٤ بابه	١٠٨٧	٤٨٠
هلك الزرع والغلات والمخازن من كثرة الماء	١٠٨٨	٤٨١
انتهت الزيادة الى ١١ ذراعا وأصبعا ثم هبط سريعا	١١٩١	٤٨٤
انتهت الزيادة الى ١٦ ذراعا ثم هبط ووقع الغلاء بمصر	١١٢٣	٥١٧
كان الوفاء على ١٦ ذراعا و ١١ أصبعا ثم نقص ولم يثبت فوقع الغلاء	١١٢٤	٥١٨
كان النيل عاليا	١١٤٩	٥٤٤
عظمت زيادة النيل وبلغ ١٨ ذراعا و ١٣ أصبعا فسقطت الجدران وغرقت البساتين وفارت الآبار	١١٦٤	٥٥٩
فتح الخليج في ٢٠ رمضان	١١٧٦	٥٧٢
بلغت الزيادة ١٦ ذراعا	١١٨٠	٥٧٦
هبط النيل بدرجة لم يعهد حصولها إلا مرة واحدة في دولة الفاطميين واشتد الوباء ومات نحو ثلاثة أرباع أهل البلاد وكان وفاء النيل في ١٦ مسرى من هذه السنة	١١٨١	٥٧٧
فتح الخليج في ٤ ربيع الثاني والماء على ١٦ ذراعا و ١٥ أصبعا وقال الناس سنة سبع افترست أسباب الحياة	١١٨١	٥٧٧
بلغت الزيادة ١٨ ذراعا و ١٣ أصبعا وهذا الحد كان يسمى وقتها اللجة الكبرى فسقطت الجدران وغرقت البساتين	١١٨٢	٥٧٨

	٥	٢
عظمت زيادة النيل والجزء الثامن من المذكرات نقلا عن المقريري في الحظوظ وهذا من النوادر الغريبة التي لم يسمع بمثها قط	٥٧٩	١١٨٣
بلغت الزيادة ١٦ ذراعا إلا ثلاث أصابع ووقف فكسر السد ووقع الغلاء بمصر	٥٨٠	١١٨٤
لم يزد النيل إلا زيادة يسيرة وهبط من غير وفاء فوقع الغلاء وهدمت الأتوات من مصر واستمر الحال على ذلك ثلاث سنين متوالية فأت من شدة الغلاء الثلث	٥٨٧	١١٩١
كسر الخليج والماء على ١٣ ذراعا إلا ثلاث أصابع وشرقت الاراضي وعم الغلاء والبلاء	٥٩٦	١٢٠٠
توقف النيل عن الزيادة في هذه السنة لغاية ٦ توت ولم يبلغ إلا ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وهبط من يومه . فحدث بمصر حوادث من جهة القحط والفناء والموت والمهاجرة ما لم يسبق له مثل في القحوط السابقة وقال المهاد الكاتب في وصف حوادث هذه السنة اشتد الغلاء وامتد البلاء وتحدثت المجاعة وتفرقت الجماعة وهلك القوى فكيف الضعيف	٥٩٧	١٢٠١
زاد النيل زيادة كثيرة ورخصت الأسعار	٥٩٩	١٢٠٣
جاء في ابن إياس ان النيل بلغ ١٦ ذراعا و ٣ أصابع ولم يثبت فوق الغلاء وكان في قاع النيل ذراعين	٦٢٧	١٢٣٠
بلغ النيل بعد توقف كبير ١٦ ذراعا و ٣ أصابع وكان غلاء شديد ووصل القمح خمسة دنانير وجاء في ابن إياس أن نهاية الفيضان كانت ١٦ ذراعا فقط	٦٢٨	١٢٣١
بلغت الزيادة ١٨ ذراعا و ٦ أصابع وطال مكته الى آخر هاتور غفاف الناس عدم هبوطه	٦٢٩	١٢٣٢
ولم يقع مثله	٦٣٧	١٢٤٠
شج النيل ولم يثبت فوق الغلاء	٦٦١	١٢٦٣
أوفى النيل أول أيام النسيء	٦٧٢	١٢٧٣
بلغ النيل ١٥ ذراعا و ٣ أصابع ولم يثبت فوق الغلاء	٦٩٣	١٢٩٤
بلغت زيادة النيل ١٦ ذراعا و ١٧ أصبعا ثم هبط وحصل بديار مصر غلاء شديد	٦٩٤	١٢٩٥
بلغت زيادة النيل الى أول توت ١٥ ذراعا و ١٨ أصبعا ثم نقص ولم يوف	٦٩٦	١٢٩٧
أوفى بعد توقف	٦٩٧	١٢٩٨

	٥	٤
( حسن المحاضرة وكوكب الروضة )	٦٩٩	١٢٩٩
قال ابن حجة قد زاد النيل حتى غرق البلاد ووقع البلاء وعم البلاء	٧٠٢	١٣٠٣
أوفى بعد توقف وانتهت الزيادة الى ١٥ ذراعا و ١٧ أصبعا فشرقت	٧٠٤	١٣٠٤
البلاد ووقع الغلاء		
( حسن المحاضرة )	٧٠٥	١٣٠٥
توقف النيل واستسقى الناس فلم يسقوا وانتهت زيادته في ٢٧ توت	٧٠٩	١٣٠٩
الى ١٥ ذراعا و ١٧ أصبعا فشرقت البلاد ووقع الغلاء وفي ١٧ بابه		
نقص جملة واحدة		
( ابن اياس وكوكب الروضة )	٧١٣	١٣١٣
وكان الماء على ١٦ ذراعا وجاء في كوكب الروضة أن فتح الخليج	٧١٧	١٣١٧
كان ثانی يوم من النقص ثم زاد زيادة عظيمة		
( النجوم الزاهرة )	٧٢١	١٣٢١
( » » )	٧٢٢	١٣٢٢
( » » )	٧٢٥	١٣٢٥
قال ابن المتوج : ان النيل بلغ ١٦ ذراعا و ٣ أصابع بعد توقف	٧٢٧	١٣٢٧
عظيم ووصل القمح خمسة دنانير ( الاردب ) وذكر المقرئ		
انه بلغ ١٣ ذراعا و ١٣ أصبعا وان مقدار التحريق كان ذراعين		
كانت زيادة النيل ١٨ ذراعا و ٦ أصابع وتأخر نزوله حتى خاف	٧٢٩	١٣٢٩
الناس عدم هبوطه		
جاء في كثر الدرر ان الوفاء كان في ٢٠ مسرى وفتح الخليج في	٧٣١	١٣٣١
يومها والماء على ١٦ ذراعا		
( النجوم الزاهرة )	٧٣٦	١٣٣٥
( » » )	٧٣٨	١٣٣٧
بلغت الزيادة ١٦ ذراعا و ١٠ أصابع ثم هبط سريعا فشرقت الأرض	٧٣٩	١٣٣٨
ووقع الغلاء وذكر كوكب الروضة أصابع		
تأخر النيل في بلوغه درجة الفيضان	٧٤٠	١٣٣٩
بلغ النيل ٢٠ ذراعا و ١٥ أصبعا ففرقت البساتين وانقطعت	٧٤٤	١٣٤٣
الطرق والجسور		
كان التحريق شديدا مع ان صاحب النجوم قال ان التحريق	٧٤٧	١٣٤٦
كان ٥ أذرع		
كان التحريق شديدا مع ان صاحب النجوم قال ان التحريق كان	٧٤٩	١٣٤٨
٤ أذرع و ٢٠ أصبعا		

	٥	٤
بلغ النيل ١٧ ذراعا وهبط في ٥ توت فشرقت بلاد كثيرة ووقع الغلاء وتوالى الشراقى ثلاث سنين فشق الأمر على الناس سنة شراق	٧٥١	١٣٥٠
» »	٧٥٢	١٣٥١
» »	٧٥٣	١٣٥٢
ثبت الى أول هاتور فدعا الناس بهبوطه وبلغ ١٩ ذراعا و ٤ أصابع قال المقرئى : كان النيل مما يتعجب منه فان القاعدة كانت ١٣ ذراعا. وبلغ ١٩ ذراعا و ٩ أصابع وأبطل النداء عليه حتى بلغ ٢٤ ذراعا وخرب عدة مساكن وثبت الى آخر بابه فدعوا الله بهبوطه توقف النيل ولم يوف إلا في ٣ توت وبلغ ١٧ ذراعا و ٤ أصابع . ثم هبط سريعا ووقع الغلاء	٧٦٠	١٣٥٩
	٧٦١	١٣٦٠
طالب مكث النيل فدعوا الله بهبوطه واستمر في ثبات الى آخر هاتور وفات أوان الزراعة وجاء في كوكب الروضة أنه كان ٢٠ ذراعا وأصابع . وفي النجوم الزاهرة ١٨ ذراعا و ٤ أصابع توقف النيل عن الزيادة وكسر السد بعد النيروز بنقص ٥ أصابع عن الوفاء ثم هبط من يومه فاضطربت الأحوال	٧٦٤	١٣٦٣
	٧٧٣	١٣٧١
كان النيل عاليا واستمر حتى دعا الناس بهبوطه . قال المقرئى : انتهت زيادة النيل الى ٢٠ ذراعا و ٣ أصابع فعد ذلك طوفانا . وكتب صاحب نجر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق ابن مكناس الى البدر اليشتكى رسالة في ذلك قال في مطلعها : رب إجعلنا في هذا الطوفان من الأمنين وسلام على نوح في العالمين	٧٧٥	١٣٧٣
مع علو النيل مكث طويلا ففرقت مواضع وتهدمت دور . وذكر ابن اياس مقدار النيل وهو ٢٠ ذراعا و ٥ أصابع انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ١٨ أصبعا وثبت الى تسع بابه فعد ذلك من النوادر	٧٨٤	١٣٨٢
ثبت الى آخر بابه فكان طوفانا . وقال كوكب الروضة رابع بابه . وقال : أن الوفاء كان في ثالث مسرى وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ٢٠ أصبعا	٧٨٥	١٣٨٣
	٧٩١	١٣٨٩
بلغ ١٩ ذراعا و ٨ أصابع وثبت الى رابع بابه فكان طوفانا ( الجزء الثامن من المذكرات )	٧٩٣	١٣٩١
توقف النيل وكسر السد في أول توت مع نقص أربع أصابع على الوفاء ووقع الغلاء وجاء في النجوم الزاهرة أن النيل أوفى خامس توت .	٧٩٧	١٣٩٥
	٧٩٩	١٣٩٧
	٨٠٦	١٤٠٣

التاريخ

	٥	٢
احترق النيل احترقا شديدا	٨٠٧	١٤٠٤
( الجزء الثامن من المذكرات )	٨٠٨	١٤٠٥
أوفى النيل وفتح الخليج في أول يوم من مسرى . وقال ابن اياس : أنه بلغ ٢٢ ذراعا وأصبعا وثبت الى نصف هاتور فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الزائد وغرق أكثر البلاد . وقال المقرئى أن الوفاء كان في ٢٩ أيب .	٨١٢	١٤٠٩
. ( ابن اياس )	٨١٥	١٤١٢
. ( » )	٨١٦	١٤١٣
. ( » )	٨١٨	١٤١٥
. ( » )	٨١٩	١٤١٦
توقف النيل عن الزيادة واستقى الناس وجاء في ابن اياس أنه أوفى وكان نيلا شحيحا ولم يثبت روى نصف البلاد ووقع الشراقى والغلاء .	٨٢٣	١٤٢٠
وبلغت الزيادة ١٨ ذراعا و ٢٠ أصبعا	٨٢٤	١٤٢١
انتهت الزيادة الى ٢٠ ذراعا وأصبعا وثبت الى نصف هاتور فحصل ضرر عظيم من عدم هبوطه وتعذر الزرع لفوات أوانه . وجاء في كوكب الروضة أن الوفاء كان في ٢٩ أيب .	٨٢٥	١٤٢٢
( ابن اياس )	٨٢٦	١٤٢٣
( » )	٨٢٧	١٤٢٤
( » )	٨٢٨	١٤٢٥
انتهت الزيادة الى ١٧ ذراعا وأصبعين ثم نقص بعد ذلك ولم يثبت فشرقت البلاد ووقع الغلاء	٨٣٠	١٤٢٦
( ابن اياس )	٨٣١	١٤٢٧
وهبط سريعا فشرق غالب البلاد ووقع الغلاء	٨٣٢	١٤٢٨
( ابن اياس )	٨٣٣	١٤٢٩
وجاء في كوكب الروضة أنه أوفى في ٢٩ أيب .	٨٣٤	١٤٣٠
أوفى النيل في هذه السنة مرتين	٨٣٧	١٤٣٣
بلغ النيل ٢٠ ذراعا و ١٠ أصابع	٨٤٣	١٤٣٩
بلغ النيل ٢٠ ذراعا و ٣١ أصبعا	٨٤٤	١٤٤٠
أن النيل زاد زيادة مفرطة في رابع بؤونة ففرقت الأمكنة وحصل الضرر ووصل النيل في غير أوانه ١٩ ذراعا و ٢٠ أصبعا واستمرت الزيادة عمالة حتى أوفى في ٢٧ أيب .	٨٤٥	١٤٤١

	١	٢
توقف النيل عن الوفاء أياماً	٨٥٣	١٤٤٩
خس النيل وكسر الخليج وقد بقي ثمانى أصابع من الوفاء وحصل غلاء شديد وجاء في كوكب الروضة لم يوف النيل وكسر الخليج وبقى على الوفاء أصبع فهبط وشرقت الأراضي ووقع الغلاء أوفى بعد توقف واستسقاء	٨٥٤	١٤٥٠
أوفى بعد توقف واستسقاء	٨٦٦	١٤٦٢
أوفى بعد توقف واستسقاء : أن الوفاء كان في غاية ذى الحجة سنة ٨٧٠ الموافق ٢٠ مسرى . وكل التقاويم اجمعت على أن ٢٠ مسرى يطابق غرة المحرم سنة ٨٧١	٨٧١	١٤٦٦
أوفى بعد توقف وهبط سريعاً أثناء توت وتزايد الغلاء	٨٧٣	١٤٦٨
فتح السد أول يوم من مسرى وانتهت الزيادة الى ٢٠ ذراعا و ٢١ أصبعا في أواخر بابه ففرقت الأراضي والطرق وجاء في كوكب الروضة أن الوفاء كان في ٢٩ أيب .	٨٨٢	١٤٧٧
وقتح السد في غاية أيب	٨٨٣	١٤٧٨
انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ٣٣ أصبعا وهبط بسرعة في أواخر مسرى فاشتد الغلاء	٨٨٤	١٤٧٩
انتهت الزيادة الى ١٧ ذراعا فاشتد الغلاء	٨٨٩	١٤٨٤
وفي كوكب الروضة الوفاء في ٥ مسرى وكسر السد في ٦ منه .	٨٩٠	١٤٨٥
الموافق ليلة عيد الفطر وكسر السد ثانى شوال وسارت بالبشرى في البلاد رسائل .	٨٩٤	١٤٨٩
أوفى بعد توقف وفتح الخليج يوم ٢٨ فكان الوفاء متأخرا نحو ٢٠ يوما ولم يعم سوى ايام ثم هبط سريعاً فشرقت الأراضي وارتفعت الاسعار	٨٩٦	١٤٩١
أوفى النيل في هذه السنة مرتين الاولى في ٢٩ مسرى والثانية في ٢٠ الحجة واستمر النيل في الثانية في ثبات الى أواخر بابه وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ١٧ أصبعا وثبت الى نصف بابه .	٨٩٧	١٤٩٢
فتح السد في ٩ مسرى	٩٠٢	١٤٩٦
وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعا و ٢١ أصبعا وكان نيلاً شحيحاً وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعا و ١٣ أصبعا وثبت الى عشرين توت	٩٠٤	١٤٩٨
انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا واصبعين وهبط سريعاً وثبت على ١٩ ذراعا و ٥ اصابع الى عشرين بابه	٩٠٦	١٥٠٠
وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعا و ٢٢ أصبعا وثبت الى آخر بابه وانتهت الزيادة الى ١٧ ذراعا و ٢١ أصبعا وثبت الى آخر توت	٩٠٧	١٥٠١
	٩٠٨	١٥٠٢
	٩٠٩	١٥٠٣
	٩١١	١٥٠٥
	٩١٣	١٥٠٧
	٩١٤	١٥٠٨
	٩١٥	١٥٠٩

التاريخ

	٢	١
وثبت على ١٩ ذراعا و ٩ اصابع الى ١٧ توت	١٥١٠	٩١٦
وقتح السد في اليوم الذي يليه وانتهت الزيادة الى ٢٠ ذراعا واصبعا	١٥١١	٩١٧
وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ٤ اصابع	١٥١٢	٩١٨
وقتح السد في سادس مسرى	١٥١٤	٩٢٠
وثبت على ٢٠ ذراعا و ١٦ اصبعا في اوائل هاتور وحصل به غاية	١٥١٥	٩٢١
المنع وفتح السد في ٦ مسرى		
وثبت على ١٩ ذراعا	١٥١٦	٩٢٢
سنة خصب حيث زاد النيل فيها زيادة كثيرة .	١٥٧١	٩٧٩
زاد النيل زيادة عظيمة قريبا من ٢٣ ذراعا ثم بعد نزوله زاد زيادة	١٦٢٢	١٠٣١
أخرى عظيمة وتلف بعض الزرع واستمر الخليج يجرى بالقاهرة		
فوق ١٠٠ يوم وحصل بسبب ذلك غلاء عظيم		
بلغت الزيادة ١٥ ذراعا وهبط فوق الغلاء والقحط	١٦٤١	١٠٥١
قصر النيل وهبط بسرعة فشرقت الاراضي ووقع الغلاء	١٦٩٤	١١٠٦
توقف النيل فاستسقوا وزاد في ١١ توت حتى بلغ ١٧ ذراعا فروى	١٧٠٤	١١١٦
بعض البلاد وهبط سريرا فاشتد الغلاء		
قصر النيل في هذه السنة وغلت الأسعار في السنة التي بعدها	١٧٢٢	١١٣٤
زاد النيل زيادة مفرطة حتى انقطعت الطرقات واستمر الى آخر توت	١٧٧٨	١١٩٢
قصر النيل وهبط قبل الصليب بسرعة فشرقت البلاد القبلية والبحرية	١٧٨٣	١١٩٧
وغلت الاسعار حتى بلغ سعر القمح ١٠ ريالات ( الاردب ) واشتد		
جوع الفقراء		
قصر النيل فكانت شدة الغلاء كالسنة التي قبلها .	١٧٨٤	١١٩٨
في المحرم من هذه السنة هبط النيل مرة واحدة فشرقت الاراضي	١٧٩٢	١٢٠٦
ولم يرو منها إلا القليل فاشتد الغلاء		
هبط النيل قبل الصليب بمشرة ايام وذلك بعد الوفاء الذي حصل	١٧٩٣	١٢٠٧
في السنة التي قبلها وكان ناقصا عن ميعاد الري نحو ذراعين فقلت		
الاسعار حتى بلغ ثمن الاردب من القمح ١٨ ريالا وأكث الناس		
الميتة من الخيل والحمير والاطفال		
بلغ النيل الزيادة المتوسطة وثبت الى اول بابه وشمل الماء غالب الاراضي	١٧٩٣	١٢٠٨
بسبب التفات الناس الى سد المجارى وحفر الترعة واصلاح الجسور		
فتح الخليج يوم ٢٤ اغسطس	١٧٩٩	١٢١٤
فتح الخليج في ١٧ اغسطس وزاد النيل زيادة مفرطة حتى غرقت	١٨٠٠	١٢١٥
البلاد وتقطعت الطرق ومكث زائدا الى آخر توت		

	التاريخ	
	٥	٢
وكسر السد في ٧ منه	١٢١٧	١٨٠٢
وكسر الخليج صباحها وهو على ١٧ ذراعا وتقص ماء النيل في ايام النسي نقصا فاحشا وانحدر من على الارض فعلت الاسعار وقامت الناس شداً	١٢١٨	١٨٠٣
اوفي النيل ١٧ ذراعا وكسر الخليج في صبح يوم السبت	١٢١٩	١٨٠٤
فتح الخليج يوم الخميس ٩ مسرى . ويقال انه فتح قبل الوفاء	١٢٢١	١٨٠٦
فتح الخليج يوم السبت ٧ مسرى وكان ضعيفا وهاف الزرع	١٢٢٢	١٨٠٧
ما وفي النيل إلا بعد ان استقى الناس	١٢٢٣	١٨٠٨
اوفي وزاد زيادة مفرطة وتلف بملوة الدراوى والاقصاب بالوجه القبلى والارزوالقطن	١٢٢٤	١٨٠٩
اوفي النيل بعد توقف طال زمنه واستسقى الناس في رابع شعبان ثم زاد النيل وثبت الى آخر توت واطمان الناس	١٢٢٥	١٨١٠
وفتح الخليج ثامن مسرى	١٢٢٦	١٨١١
ولم يحصل وفاء في آخر ايبب إلا مرة واحدة في سنة ١٢٨٣ وبينها وبين هذه السنة سنة ٤٧	١٢٣٠	١٨١٥
وفتح السد في ٥ منه	١٢٣١	١٨١٦
جاء النيل مبكراً في نصف يؤونه	١٢٣٢	١٨١٧
كانت زيادة النيل مفرطة لم يسمع بمثلها وأغرق كثيرا من الزرع الصيفية وانهدم بسببه قرى كثيرة وغرق كثير من الناس والحيوان وعلا الماء على جزيرة الروضة حتى صارت السفن تسير فوقها .	١٢٣٣	١٨١٨
كانت زيادة النيل مفرطة اكثر من العام الماضى واستمر عاليا الى منتصف هاتور حتى فات أوان الزراعة	١٢٣٤	١٨١٩
فتح السد رابع مسرى . وكانت زيادة النيل مفرطة وأغرقت الزرع والأماكن	١٢٣٥	١٨٢٠
لم يستتم النيل أذرع الوفاء الى ١٨ مسرى حتى ضجر الناس وضج الفلاحون	١٣٣٦	١٨٢١
وقد بلغ النيل ١٦ ذراعا و٧ أصابع وكانت نهاية النيل ٣٣ ذراعا وأصبعين	١٥٦٣	١٨٤٧
وكان الماء على ١٦ ذراعا وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا و٦ أصابع	١٢٦٤	١٨٤٨
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ٨ أصابع وفي اليوم الذى بعده ١٦ ذراعا و ٨ أصبعا وكانت نهاية الفيضان ٢٠ ذراعا و ١٣ أصبعا وهبط مبكراً .	١٢٩٠	١٨٧٣

	١٢٩١	١٨٧٤
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٦ ذراعا و ١٣ أصبعا وبلغ في نهاية الفيضان ٣٦ ذراعا و ١٣ أصبعا وحصل غرق تسبب عنه كسر قنطرة الشراوية وقطع السكة الحديدية التي هي بين بولاق الدكرور والمنيا واستمر الماء ١١٥ يوماً ولولا العناية التي بذلت من الحكومة وسنها قوانين صارمة لنشأ عن الفرق مضرات لا يمكن حصرها. وقد جمع الاجانب مبالغ بقصد عمل تمثال للمغفور له الخديوي اسماعيل باشا في مقابلة العناية التي بذلتها ولكنه فضل انشاء مدرسة مجانية أنشئت في الاسكندرية بدلا من اقامة التمثال وهي باقية للان	١٢٩١	١٨٧٤
والماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وهو أزيد من الوفاء بثلاث عشر قيراطاً وكانت نهاية الفيضان ٣٣ ذراعا و ٢٢ أصبعا	١٢٩٢	١٨٧٥
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من الوفاء بثلاثة قرايط . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢٣ أصبعا .	١٢٩٣	١٨٧٦
والماء على ١٥ ذراعا و ٣ أصابع وهو المقدار المقرر للوفاء ولم يبلغ النيل إلا ١٧ ذراعا و ٣ أصابع وهبط سريماً فحصل شراق ترتب عليه ترك نصف مال الوجه البحري ومعظم مال الوجه القبلي حتى بلغ قيمة المتروك من المال ١,١٢٠,٠٠٠ جنهماً عن ١,٣٠٠,٠٠٠ فدائماً وقد بلغ ثمن الأردب القمح ثلاثة جنيهات والذرة جنهمين واكل بعضهم الحشائش لسد الرمق ومات بعضهم وكثرت وقائع القتل والسلب والنهب	١٢٩٤	١٨٧٧
والماء على ١٥ ذراعا و ٥ أصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراطين . وكانت نهاية الفيضان ٣٦ ذراعا و ٦ أصابع ومكث الماء في علو ١٠٤ أيام	١٢٩٥	١٨٧٨
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من المقدار المقرر للوفاء بثلاثة قرايط . وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا و ١١ أصبعا	١٢٩٦	١٨٧٩
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من الوفاء بثلاثة قرايط . وكانت نهاية الفيضان ٣١ ذراعا و ١٧ أصبعا وهبط سريماً حيث لم يمكث سوى ٥٩ يوماً .	١٢٩٧	١٨٨٠
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ أصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراط واحد . وكانت نهاية الفيضان ٣١ ذراعا و ٩ أصابع ولم يمكث سوى ٥٩ يوماً .	١٢٩٨	١٨٨١
والماء على ١٥ ذراعا و ٢٢ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٧ ذراعا و ٣ أصابع وكانت نهاية الفيضان ٣٤ ذراعا وأصبعا .	١٣٠٠	١٨٨٣

	١	٢
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٦ ذراعا و ١٧ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ١١ أصبعا	١٣٠١	١٨٨٤
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ٣ أصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . واحتفل بجبر الخليج في غاية أيبب موافق ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٥ والنيل يومها ١٧ ذراعا و ١٨ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ١٨ أصبعا	١٣٠٢	١٨٨٥
والماء على ١٥ ذراعا و ١٣ أصبعا وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا و ١٠ أصابع وقطع الخليج في ١٧ أغسطس سنة ١٨٨٦ والماء على ١٨ ذراعا و ١٦ أصبعا وبلغ في النهاية ٢٢ ذراعا و ٧ أصابع	١٣٠٣	١٨٨٦
والماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا بزيادة ١٣ قيراطا عن الوفاء وجبر الخليج أول مسرى سنة ١٦٠٣ والماء على ١٥ ذراعا و ١٩ أصبعا وكانت نهاية الفيضان ١٨ ذراعا و ١٤ أصبعا ولم يصل لهذا المقدار الا في فترة صغيرة فتخلف كثير من الأراضي بدون رى بلغ مقدارها ٢٧٩٦٠٠ فدان ودفع مالها البالغ قدره ٣٤٢٥٣٧ جنيا فقرر مجلس النظار في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ قيام نظارة الاشغال باجراء تخفيف ويلات الشراقي وبلغها ذلك في ١٩ نوفمبر من تلك السنة	١٣٠٤	١٨٨٧
والماء على ١٥ ذراعا و ٩ اصابع وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا . وقطع الخليج في ٦ مسرى سنة ١٦٠٥ وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢١ أصبعا	١٣٠٦	١٨٨٩
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراط . وجبر الخليج في ٣ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ٢٣ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٤ اصبعا	١٣٠٧	١٨٩٠
خلت سنة ١٣٠٨ من وفاء النيل	١٣٠٨	
والماء على ١٥ ذراعا و ١١ اصبعا وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا و ٥ اصابع . وقطع الخليج في ٩ مسرى سنة ١٦٠٧ والماء على ١٧ ذراعا و ١٢ اصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢٠ اصبعا وتخلف ٧٨٣٠ فدان بدون رى ورفع مالها وقدره ٦٥٢٢ جنيا .	١٣٠٩	١٨٩١
والماء على ١٥ ذراعا و ٨ اصابع وهو ازيد بنحو خمس قرايط عن الوفاء وجبر الخليج في ٣ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ٢٢ اصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٥ ذراعا واصبعين .	١٣١٠	١٨٩٢

	١٨٩٣	١٩٠٠
والماء على ١٥ ذراعا و ٥ اصابع وهو ازيد بقيراطين عن الوفاء . وجبر الخليج في ٧ مسرى سنة ١٦٠٩ والماء على ١٦ ذراعا و ١٧ اصبا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ١٩ اصبا وتخلف ٧٠٥٩ فدان بدون رى ورفع مالها وقدره ٦٣٦٩ جنبا .	١٣١١	١٨٩٣
والماء على ١٥ ذراعا واصبا وكان في اليوم الذى يليه ١٦ ذراعا . وجبر الخليج في ٧ مسرى سنة ١٦١٠ والماء على ١٨ ذراعا و ٧ اصابع وبلغ في النهاية ٢٤ ذراعا و ٢١ اصبا .	١٣١٢	١٨٩٤
والماء على ١٥ ذراعا و ٨ اصابع وهو ازيد من الوفاء بخمسة قراريط وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ٢٢ اصبا .	١٣١٣	١٨٩٥
والماء على ١٥ ذراعا و ٧ اصابع وهو ازيد ٣ قراريط عن الوفاء . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٤ اصبا .	١٣١٤	١٨٩٦
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ اصابع . وفتح الخليج في ١٨ اغسطس سنة ١٨٩٧ وكانت نهاية الفيضان ١٩ ذراعا و ٢٠ اصبا وهبط مبكراً وتخلف ١١١٩٩ فدانا بدون رى ورفع مالها وقدره ٨٧٧٤ جنبا	١٣١٥	١٨٩٧
والماء على ١٥ ذراعا و ٥ اصابع وكان في اليوم الذى يليه ١٧ ذراعا وجبر الخليج في ١٠ مسرى والماء على ١٩ ذراعا و ١٦ اصبا . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٠ اصابع وتخلف ٩٧٢٨ فدانا بدون رى ورفع مالها وقدره ٨٥٦٠ جنبا .	١٣١٦	١٨٩٨
والماء على ١٥ ذراعا و ٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء وكانت نهاية الفيضان ١٦ ذراعا فقط ومع كونه منحطاً فان أيام الفيضان لم تزد عن ٧٥ يوما .	١٣١٧	١٨٩٩
والماء على ١٥ ذراعا و ١٢ اصبا . وكان في اليوم الذى يليه ١٦ ذراعا و ١٤ اصبا وكان جبر الخليج في ١٥ اغسطس سنة ١٩٠٠ والماء على ١٨ ذراعا و ٨ اصابع . وكانت نهاية الفيضان ٢٠ ذراعا و ١٤ اصبا وتخلف ١١٨٢٨ فدانا بدون رى ورفع مالها من ميزانية السنة التى بعدها وقدره ٨٥٨٩ جنبا .	١٣١٨	١٩٠٠
والماء على ١٥ ذراعا و ٧ اصابع وهو ازيد بأربعة قراريط عن الوفاء وكانت نهاية الفيضان ٢١ ذراعا و ٨ اصابع وكان نيلا قليلا وتخلف ٧٤٥٣ فدانا بدون رى ورفع مالها من ميزانية السنة التى بعدها وقدره ٥٧٧٥ جنبا	١٣١٩	١٩٠١



التاريخ

والماء على ١٥ ذراعا و٧ اصابع وهو أزيد باربعة قراريط عن الوفاء .  
واحتفل بالوفاء في ١٩ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٠ ذراعا  
و ٨ اصابع .

١٩١٢  
١٣٣٠

والماء على ١٥ ذراعا و ٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . ولكن  
احتفل بوفاء النيل في هذه السنة في ٤ سبتمبر والماء على ١٤  
ذراعا و ١٣ قيراطا ووقع على محضر الوفاء حضرات أصحاب السعادة  
حسين باشا واصف مفتش رى الجيزة وامين بك واصف مدير  
الجيزة حينذاك بان هذا المقدار وان كان أقل من ١٥ ذراعا و ٣  
اصابع إلا انه بالنسبة للنظلمات الحديثة يكفي للوفاء . وكانت نهاية  
الفيضان في هذه السنة ١٥ ذراعا و ٦ اصابع وانه لولا اتمام تلبية  
الخران في تلك السنة ما تيسر رى ما روى من اراضى القطر مطلقا  
والماء على ١٥ ذراعا و ٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . واحتفل  
بوفاء النيل في ٢٧ اغسطس سنة ١٩١٤ وكانت منتهى الزيادة  
٢١ ذراعا و ١٠ اصابع .

١٩١٣  
١٣٣١

١٩١٤  
١٣٣٢



تمثال للنيل على شكل انسان محفوظ اليوم في حدائق التويليرى بباريز  
Le Nil personnifié. Statue du jardin des Tuileries

## نتائج زيادة النيل ونقصانها

في عهد العرب

لما فقدت مصر استقلالها قبل ألفي سنة تهاون ولاة الأمور الأجانب في شؤون البلاد، حتى أهملوا نظام الري، وتمطلت زراعة الأرض، ونضبت موارد المعيشة على الناس، فهاجروا وهجروا البلاد فصارت بدمهم اطلاقاً بالية وآثراً خاوية، وأصبح كثير من الجهات حُفراً ومستنقعات. ولو كان في هذه العصور حكومة وطنية تهتم بالمصالح الحيوية لما تمادت على هذا الإهمال الذي أوقع البلاد في مهاوى الدمار والحراب

وكانت زيادة النيل في هذه العصور تهاجم المدن والقرى فتدمرها لعدم إقامة الجسور واختلال نظام الري الذي عليه مدار الحياة. ومن طبيعة الحكومة الوطنية أن تحافظ على نظامها المرتبط بحياة الأمة، ولكن من سوء حظ مصر أن توالى عليها إذ ذاك حكومات أجنبية مختلفة لم تهتم بمصلحة البلاد ولا بنظام شؤونها كما هي العادة قديماً وحديثاً في كل زمان ومكان وإذا نظرت إلى البلاد وجدتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد

ومن المأثور عن نابليون بونابرت قوله « من علامة حسن الإدارة في البلاد أن ترى نظام الري معتدلاً والترع مطهرة والفيضان منفعاً به في كل مكان، وان علامة ضعف الحكومة واختلال شؤونها أن ترى الترع معطلة لعدم تطهيرها والجسور مهدمة ونظام الري فاسداً وقوانين توزيع المياه جائرة » كم تحكمت في مصر حكومات أجنبية أثقلت عواتق الرعية بالضرائب الباهظة والغرامات الفادحة. فكنت ترى أفراد الهيئة الحاكمة من الوالى إلى الجندى البسيط، لاهم للجميع إلا جمع المال وإحراز الثروة وأوقموا النهب

والسلب في المصريين وأذلوهم وأذاقوهم الأمرين حتى سئموا الحياة واضطروا  
للثورات السياسية

وكان عبد اللطيف البغدادي<sup>(١)</sup> طبيباً ابن طيب ، زار مصر سنة ٥٩٧ هـ  
وذكر ما حصل بها من البؤس والشقاء من جراء زيادة فيضان النيل في أرض  
مصر فقال في كتابه « مختصر أخبار مصر » :

« إن نيل مصر يمد وقت فضوب مياه الأرض ، وذلك في شمس السرطان  
والأسد والسنبلة ، فيعلو على الأرض ويقم أياماً ، فإذا نزل عنها حرثت وزرعت  
ثم يكثر الندى في الليل جداً ، وبه يتغذى الزرع الى أن يستحصد ، ونهاية ما  
تدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانية عشرة ذراعاً فان زاد على ذلك فانه يروى  
أمكنة مستعلية »

وروى لنا ما رآه بعينه من الفظائع التي وقعت في مصر سنة ٥٩٧ هـ « دخلت  
سنة سبع مفترسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت  
الأسعار وأقحطت البلاد وشمل أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع ،  
وانضوى أهلى السواد كالريف إلى أمهات البلاد ، وانجلى كثير منهم الى الشام  
والمغرب والحجاز واليمن ، وتفرقوا في البلاد أيادي سبا ومزقوا كل ممزق ،  
ودخل إلى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم  
الموت ، وعند نزول الشمس بالحمل وبرد الهواء ووقع المرض والموت واشتد  
بالفقراء الجوع حتى اكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والأرواث ، ثم  
تمدوا ذلك الى أن اكلوا صغار بني آدم ، فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صغار  
مشويون أو مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل

(١) عبد اللطيف البغدادي هو الامام موفق الدين أبو محمد بن يوسف بن محمد بن علي بن  
أبي سعيد ويعرف بابن اللباد موصلى الاصل ببغدادى المولد . زار مصر وأقام بها من سنة ٥٩٦ هـ  
(١١٩٩ م) الى ما بعد سنة ٥٩٨ هـ (سنة ١٢٠١ م) وتوفى ببغداد سنة ٦٢٩ هـ  
(٩ نوفمبر سنة ١٢٣١ م)

ورأيت صغيراً مشروباً في قفة وقد أحضر الى دار الوالى ومعه رجل وامرأة  
زعم الناس انهما ابواه فأمر باحراقهما

ووجد في رمضان بمصر رجل وقد جردت عظامه من اللحم ، فأكل  
وبقى قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم . ولذلك تطلبه بكل حيلة وكذلك كل  
من آثر الاطلاع على علم التشريح وحين ما تسم الفقراء في اكل بنى آدم كان  
الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون في ذلك استفظاعاً لأمره وتعجباً من نذوره  
ثم اشتد اليه اضطرارهم بحيث اتخذوه معيشة ومطية ومدخراً وتفننوا  
فيه وفشا عنهم ، ووجد بكل مكان من ديار مصر ، فسقط حينئذ التعجب  
والاستشناع واستهجن الكلام فيه والسماع له . ولقد رأيت امرأة مشججة  
يسحبها الرعاع في السوق ، وقد ظفر معها بصغير مشوى تأكل منه وأهل  
السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شؤنهم ، لم أر فيهم من يعجب لذلك  
أو ينكره ، فعاد تعجبي منهم أشد وما ذلك إلا لكثرة تكرره على  
احساسهم ، حتى صار في حكم المألوف الذى لا يستحق أن يتعجب منه

ورأيت قبل ذلك بيومين صبياً نحو الرهاق مشروباً ، وقد أخذ به شابان  
أمراً بقتله وشبهه وأكل بعضه . وفي بعض الليالى بعد صلاة المغرب كان مع  
- جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير ، فينما هو الى جانبها اتهمزت غفلتها عنه  
صملوكة ، فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نياً ، وحكيت لى عدة نساء أنه  
يتوئب عليهن لاقتناص أولادهن ويحامين عنهم يجهدهن

ورأيت مع امرأة فطيماً حليماً فاستحسنته وأوصيتها بحفظه ، فحكيت لى  
أنها بينا تمشى على الخليج انقضت عليها رجل جاف ينازعها ولدها ، فترامت  
على الولد نحو الأرض حتى أدركها فارس وطرده عنها ، وزعمت أنه كان يهيم بكل  
عضو يظهر منه أن يأكله وأن الولد بقى مدة مريضاً لشدة تجاذبه بين المرأة والمفترس

وتجد أطفال الفقراء وصبيانهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس ، منبئين في جميع أقطار البلاد وأزقة الدروب كالجراد المنتشر ، ورجال الفقراء ونساؤهم يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون بهم وإنما يعثر عليهم في الندرة وإذا لم يحسنوا التحفظ

وأكثر ما كان يقع من ذلك مع النساء وما أظن العلة فيه إلا أن النساء أقل حيلة من الرجال ، وأضعف عن التباعد والاستتار . واقد أحرق بمصر خاصة في أيام يسيرة ثلثون امرأة كل منهن تقر أنها أكلت جماعة ، فرأيت امرأة قد أحضرت الى الوالى وفي عنقها طفل مشوى فضربت أكثر من ٢٠٠ سوط على أن تقر فلا تحير جواباً ، بل تجدها قد انحلمت عن الطباع البشرية ثم سحبت فانت على مكان

وإذا أحرق آكل أصبح وقد صار مأكولاً لأنه يعود شواء ويستغنى عن طبخه

ثم نشأ فيهم أكل بعضهم بعضاً حتى تفانى أكثرهم ، ودخل في ذلك جماعة من المياسير والمسائير منهم من يفعله حاجة ومنهم من يفعله استطابة وحكى لنا رجل انه كان له صديق أدقع في هذه النازلة ، فدعاه صديقه هذا الى منزله لياكل عنده على ما جرت به عادتهما قبل . فلما دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثانة الفقر ، وبين أيديهم طيبخ كبير اللحم وليس معه خبز ، فراه ذلك وطلب المرحاض ، فصادف عنده خزانة مشحونة برم الآدى واللحم الطرى ، فارتاع وخرج فاراً . وظهر من هؤلاء الخبثاء من يتصيد الناس باصناف الحبايل ، ويحتلبونهم الى مكانهم بأنواع المخاتل ، وقد جرى ذلك لثلاثة من الأطباء : أما أحدهم فان أباه خرج فلم يرجع ، وأما الآخر فان امرأة اعطته درهمين على أن يصحبها الى مريضها ، فلما توغلت به

مضايق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها فتركت درهميها وانسلت ،  
وأما الثالث فإن رجلاً استصحبه الى مريضه في الشارع يزعمه وجعل في اثناء  
الطريق يصدق بالكسر ويقول اليوم يغتم الثواب ويتضاعف الأجر ومثل  
هذا فليعمل العاملون ، ثم كثر حتى ارتاب منه الطيب ومع ذلك فحسن  
الظن يغلبه وقوة الطبع تجذبه حتى أدخله داراً خربة فزاد استشعاره وتوقف  
في الدرج

وسبق الرجل فاستفتح نخرج اليه رفيقه يقول له هل مع ابائك حصل  
صيد ينفع نخرج الطيب لما سمع ذلك ، وألقى نفسه الى اصطبل من طاقة  
صادفها لسعادته ، فقام اليه صاحب الأصطبل يسأله عن قضيته فأخفاها عنه  
خوفاً منه أيضاً ، فقال له قد علمت حالك فان أهل هذا المنزل يندبحون  
الناس بالختل

ووجد باطفيح عند عطار عدة خواني ملاة بلحم الآدمي وعليه الماء  
والملاح فسألوه عن علة اتخاذه والاستكثار منه فقال خفت اذا دام الجذب أن  
يهزل الناس

وكان جماعة من الفقراء قد آووا الى الجزيرة وتستروا بيوت طين  
يتصيدون فيها الناس ، ففطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ، ووجد في بيوتهم من  
عظام بني آدم شيء كثير ، وخبرني الثقة أن الذي وجد في بيوتهم أربعمائة جمجمة  
ومما شاع وسمع من لفظ الوالى أن امرأة أتته سافرة مذعورة ، تذكر  
أنها قابلة وان قوماً استدعوها وقدموا لها صحناً فيه مكباج محكم الصنعة مكمل  
التوابل فألقته كثير اللحم .بايناً للحم المعهود ، فتنقزت منه ثم وجدت خلوة  
بينت صغيرة فسألتهما عن اللحم فقالت أن فلانة السمينه دخلت لتزورها  
فذبجها أبى وها هي معلقة إرباً ، فقامت القابلة الى الخزانة فوجدتها أنابير

لحم فلما قصت على الوالى القصة ، أرسل معها من هجم الدار وأخذ من فيها  
وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه فى خفية بثلمائة دينار ليحقق  
بذلك دمه .

ومن غريب ما حدث من ذلك أن امرأة من نساء الأجناد ذات مال  
ويسار كانت حاملاً ، وزوجها غائب فى الخدمة ، وكان يجاورها صعايك  
فسمت عندهم رائحة طبيخ فطلبت منه كما من عادة الحبالى فألفته لذيذاً فاستزادتهم  
فزعموا أنه نفذ فسألتهم عن كيفية عمله فأسروا إليها انه لحم بنى آدم فواطتهم  
على أن يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطاء ، فلما تكرر ذلك منها وضريت  
وغلبت عليها الطباع السبعية وشى بها جواربها خوفاً منها ، فهجم عليها فوجد  
عندها من اللحم والعظام ما يشهد بصحة ذلك فحبست مقيدة وأرجىء قتلها  
احتراماً لزوجها وبقاء على الولد فى جوفها

ولو أخذنا تقتص كل ما نرى ونسمع لوقعنا فى التهمة أوفى الهذر ، وجميع  
ما حكيناها مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه ، وانما هو شىء صدقناه  
اتفاقاً ، بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره

وأما من يتحين ذلك بدار الوالى فانه يجد منه أصنافاً تحضر مع آناء الليل  
والنهار ، وقد يوجد فى قدر واحدة اثنان وثلاثة وأكثر ، ووجد فى بعض الأيام  
قدر فيها عشر أيد كما تطبخ الكارع الغنم ، ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس  
كبيرة وبعض الاطراف . طبوخاً بقمح وأصناف من هذا الجنس تقوت الاحصاء  
وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع فى حباتهم  
شيخ كتبى بدين ممن يتعاون الكتب فأفلت بجريمة الذقن  
وكذلك بعض أقوام من جامع مصر وقع فى حباله قوم آخرين بالقرافة

فتداركه الناس نخلص من الوهق وله حصاص وأما من خرج عن أهله فلم يرجع اليهم نخلق كثير

وحكى لى من أثق به أنه اجتاز على امرأة بخربة وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهى تأكل من انخاذه فأنكر عليها فزعمت أنه زوجها وكثيراً ما يدعى الآكل أن المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك . ورؤى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بأن قالت انما هو ولد ابنتى وليس بأجنبى منى ، ولأن آكله أنا خير من أن يأكله غيرى ، واشباه هذا كثير جداً حتى انك لا تجد احداً فى ديار مصر الأوقد رأى شيئاً من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء فى خدورهن

وما شاع أيضاً نبش القبور واكل الموتى . ويبيع لحومهم وهذه البلية التى شرحناها وجدت فى جميع بلاد مصر ليس فيها بلد إلا وقد اكل فيه الناس أكلاً ذريعاً من اسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي

وخبرنى بعض أصحابى وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عين بها من ذلك ، وأعجب ما حكى لى أنه عين روس خمسة صفار مطبوخة فى قدر واجدة بالتوابل الجيدة ، وهذا المقدار فى هذا الاقتصاص كان فانى وان كنت قد اسهبت اعتقد أنى قد قصرت ، وأما القتل والفتك فى النواحي فكثير فاش فى كل فج ، ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية . وقد كان بطريق الفيوم ناس فى مراكب يرخصون الأجرة على الركاب ، فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم وظفر الوالى منهم بجماعة فقتل بهم وأقر بعضهم عند ما أوجع ضرباً أن الذى خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار . وأما موت الفقراء هزالاً وجوعاً فأمر لا يحيط علمه الا الله سبحانه

وتعالى ، وانما نذكر منه كالانموذج يستدل به اللبيب على فظاعة الأمر  
فالذى شاهدنا بمصر والقاهرة ، وما يليهما أن الماشى أين كان لا يزال  
يقع قدمه أو بصره على ميت أو من هو في السياق أو على جمع كثير بهذه  
الحال ، وكان يرفع من القاهرة خاصة الى الميضاة كل يوم ما بين مائة الى ٥٠٠  
وأما مصر فليس لموتها عدد ويرمون ولا يوارون وأما من عجزوا عن رميهم  
فبقوا في الأسواق وبين البيوت والدكاكين وفيها ، والميت منهم قد تقطع  
والى جانبه الشواء والحجاز ونحوه

وأما الضواحي والقرى فانه هلك أهلها قاطبة الى ما شاء الله ، وبعضهم  
انجلى عنها اللهم إلا الأمهات والقرى الكبار كقوص والأشمونين والمحلة  
ونحو ذلك ، ومع هذا أيضاً فلم يبق فيها إلا التحلة القسم ، وأن المسافر لير  
بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقابلين  
بعضهم قد ورم وبعضهم طرى وربما وجد في البيت أثنائه وليس له من يأخذه  
حدثني ذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضد به قول الآخر ، قال  
أحدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيواناً في الأرض ولا في السماء فتخللنا البيوت  
فالفينا أهلها كما قال الله عز وجل جعلناهم حصيداً خامدين ، فنجد ساكن كل  
دار موتى فيها الرجل وزوجه وأولاده . قال ثم انتقلنا الى بلد آخر ذكر لنا  
أنه كان فيه أربع مائة دكان للحياكة فوجدناها كالتى قبلها في الخراب وأن  
الحايك في بير حيا كته ميت وأهله موتى حوله ، فحضر لى قول الله تعالى  
ان كانت الأصيحة واحدة فاذا هم خامدون . قال ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه  
كالذى قبله ليس به أنيس وهو مشحون بموتى أهله . قال واحتجنا الى الإقامة  
به لأجل الزراعة فاستأجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة  
بدرم قال ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترنع فى لحوم أهلها

ومن عجيب ما شاهدت انى كنت يوماً مشرفاً على النيل مع جماعة فاجتاز علينا فى نحو ساعة نحو عشرة موتى كأنهم القرب المنفوخة هذا من غير أن نتقصد رؤيتهم ولا أحطنا بعرض البحر ، وفى غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا اشلا الموتى فى الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بانايش الفصل وخبرت عن صياد بفرضة تنيس أنه مر به فى بعض نهار أربع مائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح

وأما طريق الشام فقد تواترت الأخبار انها صارت مزرعة لبني آدم بل محصدة وانها عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان كلابهم التى صحبتهم من منجلاهم هى التى تأكل فيهم

وأول من هلك فى هذا الطريق أهل الحوف عند ما اتجمعوا الى الشام وانتشروا فى هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ، ولم تزل تتواصل هلكام الى الآن ، وانتهى اتجاعهم الى الموصل وبغداد وخرسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا فى البلاد كل ممزق

وكثيراً ما كانت المرأة تملص من صبيتها فى الزحام فيضورون حتى يموتوا وأما بيع الأحرار فشاع وذاع عند من لا يراقب الله حتى تباع الجارية الحسنة بدراهم معدودة . وعرض على جاريتان مراهقتان بدينار واحد ورأيت مرة أخرى جاريتان احداهما بكر ينادى عليهما بأحد عشر درهما

وسألتنى امرأة أن اشترى ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم ، فعرفتها أن ذلك حرام فقالت خذها هدية . وكثيراً ما يترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بأن يشتروهم أو يبيعوهم . وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سبيهم الى العراق واعماق خراسان وغير ذلك بموتهم أجمعين فارسل عوضهم فوات أكثرهم هكذا مرات فى عدة جهات

وسمعنا من الثقات عن الاسكندرية أن الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركه واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثاً ومن عجيب الكائنات في هذه المدة أنه ولد مولود أبيض الشعر ورأيته وأما خراب البلاد والقري وخلو المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجملة التي اقتصصناها وناهيك أن القرية التي كانت تشتمل على زهاء عشرة آلاف نسمة تمر عليها فتراها دمنة ، وربما وجد فيها نقر وربما لم يوجد ، وأما مصر فخلا معظمها ، وأما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها بيت مسكون أصلاً ، بعد ما كان كل قطر منها قدر مدينة في زحمة من الناس ، حتى أن الرباع والمساكن والدكاكين التي في سرّة القاهرة وخيارها أكثرها خال خراب

ولم يبق لأهل المدينة وقود في تنازيرهم وأفرانهم وبيوتهم الا خشب السقوف والأبواب والزرروب ، ومما يقضى منه العجب أن جماعة من الذين ما زالوا محدودين سعدوا في دنياهم هذه السنة ، فمنهم من أثرى بسبب متجرة من القمح ، ومنهم من أثرى بسبب مال انتقل اليه بالارث ، ومنهم من حسنت حاله لا بسبب معروف فتبارك من بيده القبض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط

وأما خير النيل في هذه السنة فانه احترق في برمودة احتراقاً كثيراً ، وصار المقياس في أرض جرز وانحسر الماء عنه نحو الجزيرة ، وظهر في وسطه جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات ابنية وتغير الماء في ريحه وطعمه تم تزايد التغير ثم انكشف أمره عن خضرة طحلبية كلما تطاول الأيام ظهرت وكثرت كالتي ظهرت في ايّيب من السنة الحالية ، ولم تزل الخضرة تزايد الى آخر شعبان ثم تناقصت الى أن ذهبت وبقى في الماء أجزاء نباتية منبثّة فقط وطاب طعمه

وريجحه ، ثم أخذ في رمضان ينمو وتقوى جريته الى اليوم السادس عشر منه فقام فيه ابن أبي الرداد قاع البركة فكان ذراعين ، وأخذ في زيادة ضعيفة أضعف من السنة الخالية ، ولم يزل في زيادة ضعيفة الى ثامن ذى القعدة ، وهو السابع عشر من مسرى ، فزاد أصبعاً ثم وقف ثلاثة أيام ، فأيقن الناس بالبلا واستسلموا للهلكة . ثم أخذ في زيادات قوية أكثرها ذراع الى ثالث ذى الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمس عشرة ذراعاً وست عشرة أصبعاً ثم انحط من يومه وانهمزم على فوره ، ومس بعض البلاد تحلة القسم فكأنما زارها طيف خياله في الحلم

وانما انتفع به ما كان في البلاد مطماً فأروى المنخفضات كالغريبة ونحوها غير أن القرى خالية عن فلاح أو حراث أصلاً ، فهم كما قال الله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ، وانما أرباب الجدات يجمعون شذاذهم ويلتقطون أفرادهم وقد عز الحراث والبقر جداً حتى يبيع الثور الواحد بسبعين ديناراً والهزيل بدون ذلك

وكثير من البلاد ينحسر عنها الماء بغير حقه ولغير وقته ، اذ ليس بها من يمسك الماء ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ريتها وكثير مما روى يبور لعجز أهله عن تقاويه والقيام عليه ، وكثير مما زرع اكنته الدودة . وكثير مما سلم منها اضوى وعطب ، ونهاية سعر القمح في هذه السنة خمسة دنانير الأردب والقول والشعير بأربعة دنانير ، وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير

ومن الله سبحانه برجوع الفرج وهو المتيح للخير بعنه وجوده وفي حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة ، دخلت هذه السنة والأحوال التي شرحناها في السنة الخالية على ذلك النظام الى زها نصفها فتناقص موت الفقراء لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب

وحكى أنه كان في مصر تسع مائة منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر  
منسجاً ، وقس على هذا سائر ما جرت العادة أن يكون في المدينة من باعة  
وخبازين وعطارين وأساكفة وخياطين وغير ذلك من الأصناف ، فإنه لم يبق  
من كل صنف من هؤلاء الا نحو ما بقى من الحصيرين أو أقل من ذلك  
وأما الدجاج فعدم رأساً ، لولا أنه جلب منه شيء من الشام . وحكى  
لى أن رجلاً مصرياً شارف الفقر فألهم أن اشترى من الشام دجاجاً بستين  
ديناراً وباعها بالقاهرة على القماطين بنحو ثمانى مائة دينار ولما وجد البيض بيع  
بيضة بدرهم ثم بيضتين ثم ثلاثاً ثم أربعاً واستمر على ذلك . وأما الفراخ فيبيع  
الفروج بمائة درهم ولبت برهة يباع الفروج بدينار فصاعداً

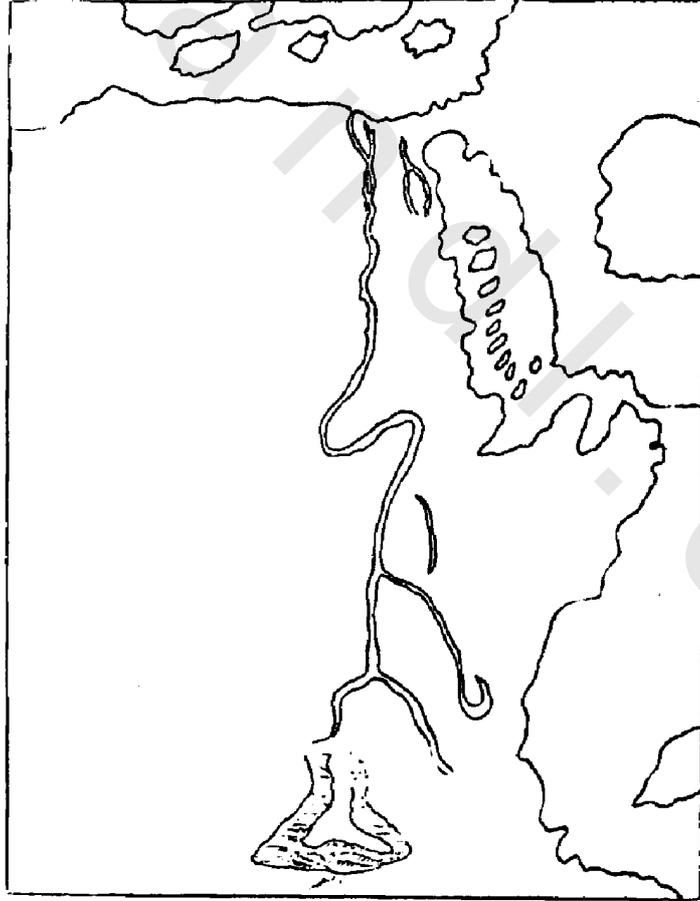
والذى دخل تحت الاحصاء من الموتى ممن كفن . وجرى له اسم فى  
الديوان وضمته الميضاة فى مدة اثنين وعشرين شهراً أولها شوال فى سنة  
ست وتسعين رجب فى سنة ثمان وتسعين مائة الف نفس واحد عشر الفاً  
إلا آحاداً وهذا مع كثرته نزر فى جنب الذين هلكوا فى دورهم وفى أطراف المدينة  
وأصول الحيطان ، وجميع ذلك نزر فى جنب من هلك بمصر وما تأخها ، وجميع  
ذلك نزر فى جنب من أكل فى البلدين ، وجميع ذلك نزر جداً فى جنب من  
هلك واكل فى سائر البلاد والنواحي والطرق خاصة طريق الشام فإنه لم  
يرد احد من ناحيته ، فسألته عن الطرق الا ذكر منها مزرعة بالأشلا والرم  
وهكذا ما سلكته منها ، ثم انه وقع بالفيوم والغريسة ودمياط والاسكندرية  
موت عظيم ووباء شديد ولا سيما عند وقت الزراعة فيموت على المحراث  
الواحد عدة فلاحين . حكى لنا أن الذين بذروا غير الذين حرثوا كذلك  
الذين حصدوا

وباشر بعض الرؤساء زراعة فأرسل من يقوم بها ثم بعث يسأل عنهم

فجاء الخبر بموتهم اجمعين ، فأرسل عوضهم فوات أكثرهم هكذا مرات في عدة مرات

وأعجب من جميع ما اقتصصناه أن الناس مع ترادف هذه الآيات عاكفون على أصنام شهواتهم لا يرعونون مغمسون في بحر ضلالتهم كأنهم هو المستثنون فمن ذلك اتخذهم بيع الأحرار متجراً ومكتسباً ومنه عهدهم بهؤلاء النسوة حتى أن منهم من يزعم أنه اقتضى خمسين بكراً ومنهم من يقول سبعين

وسمنا من الثقات عن الاسكندرية أن الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثاً. الخ «



رسم مجرى النيل حسب خريطة بطليموس المحفوظة بدير جبل أوتوس منقول من كتاب عنوانه (The Nile question) وضع السر (Hurry Johstone)

## مصبات النيل : حسب عقيدة القدماء

لأحصاء هذه الجداول خطأ غير مقصود وان تناوله الناقلون خلفاً عن سلف منذ العصور الأولى . و خلاصة القول ان مصبات النيل ( أى جداوله ) سبع . ومن سرى الى رواياتهم الخطأ فى احصائها الفيلسوف الشهير سنيك وقد قال المؤرخون القدماء أن مصبات النيل سبع ويظهر أن مصباته الأصلية اثنان ، وهما الفرعان اللذان ينقسمان تحت مدينة القاهرة ، ومنهما تفرع باقى المصبات فى عهد الفراعنة توصيلاً لإرواء المسافات الكبيرة التى كانت محرومة من الرى والزرع ، وباقتضاء العمران توسعوا فى الاستفادة من هذه الفروع ، فتدفقت منها الخيرات على العباد والبلاذ ، وشكروا الأيدى العاملة التى قامت بهذه المشروعات النافعة . والمصبان الطبيعيان المذكوران هما الكانوبى (Canopique) فى الجهة الغربية والبلوزى (Pelusiane) فى الجهة الشرقية وقال هيردوت ( فى كتابه الثانى الفصل ١٧ فى القرن الرابع ق م ) إن مصبات النيل من الجهة الشرقية الى الجهة الغربية من جهة البحر خمس وهى : البلوزى (Pelusiane) والصعيدى (Saitique) والمنديزى (Mendésique) والسبنتى (Sebennyitique) والكانوبى (Canopique)

وقال سترابون ( فى كتابه ١٧ الفصل الأول فى القرن الأول ق م ) أن مصبات النيل من الشرق الى الغرب سبع وهى : البلينزى والتانيتى (Tanitique) والمنديزى (Mendésique) والفتانيتى (Phatnitique) والسبنتى (Sebennyitique) والبلينيتى (Bolbitique) والكانوبى

وقال ابن الحكم من علماء القرن الثالث للهجرة ان مصبات النيل سبع ، ولم يتفق مع العلماء الا فى العدد فقط وهى : (١) بنها (٢) الفيوم (٣) ممفيس (٤) سردوس (٥) دمياط (٦) سخا (٧) اسكندرية

## مقاييس النيل

في عهد الفراعنة

أوجد الفراعنة مقاييس نظامية في كثير من المناطق للرجوع إليها في موازنة المياه وتوزيعها بين الأقاليم توزيعاً ثابتاً يفي بحالتها الطبيعية، وبنوا هذه المقاييس على نسبة اختبارية في فصول السنة كلها، لتكون هذه المقاييس ميزاناً صحيحاً حتى إذا طرأت بعض العوارض في منطقة أمكنهم حصر ميزانيات الماء فيها، فلا يحدث من انحدارها القهري اخلال بالنظام يؤذى المناطق المجاورة، وهذه الاختبارات تدل على حذق وفطنة

قال سترابون ( في كتابه بالفصل ١٧ العدد ١ ) كان لدى قدماء المصريين مفتشون فينون يجيبون الناس والحكام عن كل الملاحظات التي تطلب منهم بتواريخ بدء الفيضان ونسبته، لأن لديهم علامات ثابتة ( أي المقاييس ) يرجعون إليها في معرفة ذلك قبل أوان الفيضان، وانه يوجد بمدينة بيلاق مقياس يشبه مقياس مدينة ممفيس. والمقياس المبني من الحجر على شاطئ النيل هو عبارة عن بئر تتوازن فيه درجة المياه ارتفاعاً وانخفاضاً على مقدار مياه النهر. وقد نقشوا في جوانب البئر أشارات تدل على درجات الفيضان في كل عام. وقد أيدت الاكتشافات الأخيرة رأى هذا المؤرخ. وعثر علماء البعثة المصرية على مقياس مدينة بيلاق وزاره جومار قبل ترميمه وقال في وصفه ما يأتي: يتألف هذا المقياس من سطح مربع ومنه ينزل بسلم الى ٨٥ درجة وينقسم سطحه الى ثلاثة أجزاء وفيه باب يفتح الى النيل لا يمكن النظر اليه الا وقت انخفاض المياه، وجدرانها المتطرفة مبنية بقطع اقية من الحجر

الجرانيت وقد صالت يد القدم على النقوش الهير و غليفية ولم يبق من الآثار  
أيونانية فيه الا النذر القليل

قال هليودور كان في مدينة سيين مقياس للنيل دقيق في الصنع والمزية الفنية  
في أوائل استعمارهم لمصر، فأقاموا فيها المعامل والحصون لتحفظ الحدود الملاصقة  
لبلاد الحبش، والى هذا يرجع رأى من قال ان مقياس مدينة سيين هو المقياس  
الذى كان في مدينة بيلاق لأن موقعيهما متقاربان جداً ويسرى الى الظن  
الخطأ في الرواية أو نسبة كل مدينة منهما الى اشتغالها على مقياس خاص لها  
ويوجد بين الآثار المحفوظة في المتحف البريطانى نصوص هير و غليفية  
ثبتت أن الملك سنوسرت الثالث صنع في السنة الثامنة من حكمه بعض  
اصلاحات في مقياس بيلاق خلاصتها : « في السنة الثامنة من الشهر الثالث  
من فصل الفيضان في عهد ملك الوجهين البحرى والقبلى سنوسرت الثالث  
المحجوب من ساتيت ( معبوده مدينة بيلاق ) الخالد الذكر قد أمر وزيره امنى  
بعمل باب من مباني مقياس بيلاق الخ ٠٠ )

وقد ذكر مقياس النيل في كتاب الموتى يقول الميت « أيتها الدار كراو  
التي يقابلها النيل في أعلا تاتو حيث يقاس النيل في ممره، ويقول الميت أيضاً  
( في الفصل ١١٠ من كتاب الموتى ) « قد وصلت الى أقليم كبير وقت الفيضان »  
ويتضح من هذه النصوص الدينية أن الميت يقصد مقياس النيل ويعد نفسه  
سعيداً لكونه قاس الفيضان الذى يجعل مصر مخصبة بمحض الهبة الالهية  
ونشر بروكش باشا نقوشاً يرجع تاريخها الى عصر البطالسة خاصة  
بمقياس النيل الكائن في مدينة بيلاق ونصها « متى خرج النيل في وقته من  
منبعك يكون ارتفاعك في بيلاق ٢٤ ذراعاً ) ووجد العالم جورج داريسى في  
مدينة هابو مقياساً للنيل كمقياس بيلاق ومنقوشاً فيه اسم نقتانيبو الأول

أحد ملوك الأسرة التاسعة والعشرين ، ولم توجد معلومات يستنتج منها درجات الفيضان في هذا المكان

وقد أندرست بمرور الزمن مقاييس أخرى كانت في مناطق عديدة بل كان بقرب كل معبد في مدينة على النيل مقياس خاص بها يستفيد به اهل الجهات في معرفة درجات الفيضان في أوائله ونهايته

وقد قال ديودور الصقلي أن مدينة ممفيس كان بها مقياس شهير وأثبت بشأنه العبارة الآتية :

لما كانت مسألة الفيضان الشغل الشاغل عند الملوك المصريين اعتنوا في بناء مقاييس له ، ومن جملتها مقياس مدينة ممفيس ، وبواسطته كانوا يعرفون درجات الفيضان بالضبط » وقال سترابون أن مقياس النيل الذي في مدينة ييلاق بنى على نسق مقياس مدينة ممفيس

وقال بروكش باشا العالم الأثرى إنه كان في مدينة ديوبوليس مقياس خاص بها وكان الفيضان يصل في مدينة ييلاق الى ٢٨ ذراعاً . وكان مستوى الفيضان سبعة أذرع في مدينة ديوسبوليس . ووصف المؤرخ بلين آباراً وجد فيها درجات مقسمة خاصة بمقاييس النيل بطريقة مختصرة لأهل البلاد الموجودة بها

وقد عثر سنة ١٨٩٤ على جدار أثرى منقوش فيه احتفال بفيضان النيل بالعبارة الآتية ترجمتها « في السنة ١٠ في الشهر الثاني من فصل الصيف جاء النيل ذاخراً . واكتشف المسيو جورج لجران نقوشاً على رصيف الكرنك تبين الجهات التي ابتداء فيها الفيضان من السنة السادسة من حكم الملك ششنق الأول الى السنة ١٩ من عهد الملك بسامتيك وقال سترابون الجغرافي اليوناني أنه رأى نقوشاً تثبت تعيين مفتشين فنيين كانوا يراقبون زيادة النيل وتقصانه

في المقاييس وربما كان هؤلاء الأشخاص هم الكتبة المذكورون في شاهد حجري محفوظ بمتحف ليد يرجع تاريخه الى الأسرة ١٢ ومنقوش عليه هذا اللقب باللغة المصرية القديمة « الكاتب المنوط بمقياس الفيضان الخ ... »

## ذكر مقاييس النيل وزيادته

في عهد العرب

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عم وضع مقياساً بمنف ، ثم وضعت العجوز دلوكه ابنة زباً وهي صاحبة حائط العجوز مقياساً بأنصنا وهو صغير الذرع ومقياساً بإخميم . ووضع عبد العزيز بن مروان مقياساً بجلوان وهو صغير ، ووضع أسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياساً بالجزيرة وهو أكبرها . قال يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط

وقال القضاعي كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عم وبني مقياساً بمنف وهو أول مقياس صنعه عم ، وقيل ان النيل كان يقاس بارض علوة الى أن بنى مقياس منف ، وان القبط كانت تقيس عليه الى أن بطل . ومن بعده دلوكه العجوز بنت مقياساً بأنصنا وهو صغير الذراع ، ومقياساً آخر بإخميم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر ، وقيل إنهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاص ، فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الاكسية ومعالمه هناك الى أن ابنتي المسلمون بين الحصن والبحر أبنيتهم الباقية الآن ، وكان للروم أيضاً مقياس بالقصر خلف الباب يمنة في مدخله في داخل الزقاق أثره قائم الى اليوم وقد بنى عليه وحوله ثم بنى عمرو بن العاص عند

فتحه مصر مقياساً بأسوان ثم بنى بموضع يقال له ذندرة ثم بُنى في أيام معاوية مقياس بأنصنا فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياساً بمحلوان وكانت منزله ، وكان هذا المقياس صغير الذراع ، فأما المقياس القديم الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامة بن زيد ، وقيل إنه كسر فيه ألفى أوقية وهو الذى بنى بيت المال بمصر ، ثم كتب أسامة ابن زيد التلوخى عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك يطلانه ، فكتب اليه سليمان بأن يبني مقياساً فى الجزيرة فبناه فى سنة سبع وتسعين ، ثم بنى المتوكل فيها مقياساً فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد ، وأمر بأن يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن كان يقول العمى أصله من البصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل ، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر ، فلم يزل القياس من ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده الى اليوم وتوفى أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين ، ثم ركب احمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه ابو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضى فنظر الى المقياس وأمر باصلاحه وقدر له الف دينار فعمّر وبني الخازن فى الصناعة مقياساً وأثره باق لا يُعتمد عليه

وقال يزيد بن ابى حبيب ان موسى عم دعا على آل فرعون فخبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ، فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك فى ليلة الصليب ، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الساعة ستة عشر ذراعاً ، فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لبنيه موسى عم

قال القضاعى ووجدت فى رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد ابن عبد المنعم ، قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده فى مقياس لهم فضلاً عن تقاصره ، وأن فرط الاستشعار يدعوهم الى الاختكار ويدعو الاختكار الى تصاعد الأسعار لغير قحط ، فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال ، فأجابه انى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشرة ذراعاً ، واخذ الذى يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعاً ، والنهائتان المخوفتان فى الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنتا عشرة ذراعاً فى النقصان ، وثمانى عشرة ذراعاً فى الزيادة ، هذا والبلد فى ذلك الوقت محفور الأنهار معقود الجسور عند ما تساموه من القبط وخميرة العمارة فيه ، فاستشار عمر أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه فى ذلك ، فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياساً ، وان ينقص ذراعين على اثنتى عشرة ذراعاً وأن يقر ما بعدها على الأصل ، وان ينقص فى كل ذراع بعد الست عشرة ذراعاً أصبعين ففعل ذلك وبناه بحلولان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الأرجاف وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الاثنتى عشرة ذراعاً أربع عشرة ، لأن كل ذراع أربع وعشرون أصبعاً فجعلها ثمانياً وعشرين من أولها الى الاثنتى عشرة ذراعاً يكون مبلغ الزيادة على الاثنتى عشرة ثمانياً وأربعين أصبعاً ، وهى الذراعان وجعل الأربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين .

قال القضاعى وفى هذا الباب نظر فى وقتنا لزيادة فساد الأنهار وانتفاض الأحوال . وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربعة وعشرون أصبعاً كل ذراع ، والمقاييس الاسلامية على ما ذكر منها

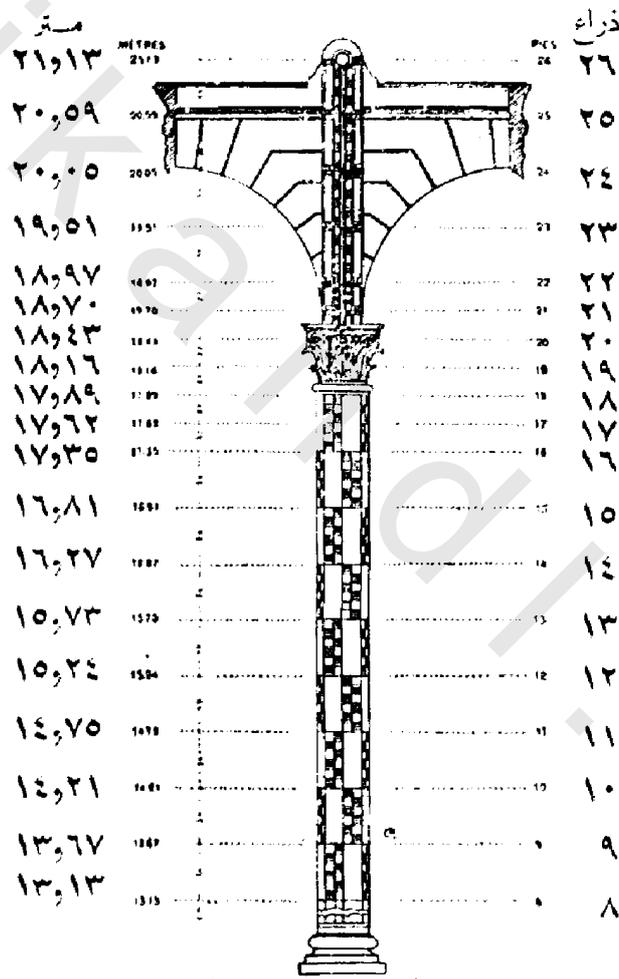
المقياس الذي بناه أسامة بن زيد التنوخي بالجزيرة وهو الذي هدمه الماء وبني المأمون آخر بأسفل الأرض بالبشرودات ، وبني المتوكل آخر بالجزيرة وهو الذي يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره

قال بن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء في اثني عشر يوماً في مسرى اثنتي عشرة ذراعاً فهي سنة ماء وإلا فالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعاً قبل النوروز فالماء يتم فاعلم ذلك

وقال أبو العصلت وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يُعرف بجبل القمر فانه يبتدئ بالتزويد في شهر أيب ، والبصريون يقولون إذا دخل أيب كان للماء ديب وعند ابتدائه في التزويد يتغير جميع كيميائه ويفسد ، والسبب في ذلك مروره بنقائع مياه آجنة فيجتلبها معه الى غير ذلك مما يحتمله ، فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعاً وزادت السادسة عشر أصبغاً واحداً كسر الخليج ولكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجتمع غاص يحضره العام والخاص . فاذا كسرت تحت الترع وهي فوهات الخاجان ، ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى أعلى مساكنهم من الضياع والمنازل وهي على آكام ورُبِّي لا ينتهي الماء اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحراً غامر الماء بين جبلها ريثما يبلغ الحد المحدود في مشيئة الله عز وجل له ، واكثر ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعاً ثم يأخذ عائداً في صبه الى مجرى النيل ومسربه فينضب أولاً كأن من الأرض عالياً ويصير فيما كان منها متظامناً فيترك كل قرارة كالدرهم وينفادر كل تلة كالبرد المسهم

وقال القاضي أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية وأما الذراع السوداء فهي أطول من ذراع الدور بأصبع وثلاث أصابع وأول من

وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائماً وهي التي تتعامل الناس بها في ذراع البزّ والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر والمقياس عمود رخام أبيض مشتمن في موضع ينحصر فيه الماء عند أنسيابه إليه وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قصماً متساوية تعرف بالأصابع ما عدا الاثنى عشر ذراعاً الأولى فانها مفصلة على ثمانية وعشرين أصبعاً كل ذراع .



Colonne du Méâs, d'après le livre de KASSOU sur le Nil Gauge et Roda.

رسم عمود المقياس مأخوذ من كتاب عنوانه (The Nile Gauge at Roda)

وضع قاسم بك

« المقياس بناء على تحقيقات مهندسى العصر الحالى »

إن مقياس الروضة هو عبارة عن عمود من الحجر مقسم الى أذرع وقراريط . موضوع بوسط بئر مربعة من البناء طول ضلعها نحو الأربعة أمتار ، وهو مقام بالنهاية الجنوبية لجزيرة الروضة تجاه مصر القديمة .

أما بناء هذا المقياس فكان فى سنة ١٨٦١ م كما قرره المستر ولكوكس فى كتابه « الرى المصرى » ، وقد وضع الفرنسيون حين دخولهم لهذه البلاد فى سنة ١٧٩٨ واحتلالهم اياها سنتى ١٧٩٩ و ١٨٠٠ وخرجهم منها فى سنة ١٨٠١ تاجاً من زخرفاً فوق عمود المقياس محفور عليه ( La République Française ) ( أى الجمهورية الفرنسية - السنة التاسعة من تأسيس الجمهورية ) ، ولكن بعد مبارحة الفرنسيين قد أسقط هذا التاج فى البئر ووضع بدله قاويس من خشب القرو الثقيل فوق العمود ثبت من طرفيه بحائطى البئر . هذا ويظهر من فحص وضع القاويس المذكور بالنسبة لقيمة عمود المقياس أن هذا العمود لا بد وأن يكون هبط بمقدار ٠,١٩ فى خلال القرن الماضى

ومما يشاهد فى هذا المقياس أن التقاسيم المنقوشة على عموده ليست ظاهرة جلياً . أما مقادير الأذرع فهى واحدة بطول العمود كله انما الأرصاد اليومية تجرى لحد الذراع الثانية عشرة فقط على العمود وما تجاوز ذلك يرصد على تقاسيم أخرى على مدرج من الحجر بداخل البئر وليس ارتفاع درج هذا المدرج مقسماً تقسيماً متساوياً بل أن الأذرع التى تحت ١٦ ذراعاً تساوى الواحدة منها ٠,٥٤ من المتر تقريباً والى بين ١٦ ذراعاً و ٢٢ ذراعاً تساوى الواحدة منها ٠,٢٧ من المتر تقريباً . أو نصف ذراع ثم ما فوق ٢٢ ذراعاً فطول الذراع الواحدة ٠,٥٤ من المتر

وقد أوضح المغفور له الكولونيل روس سبب هذا التقسيم حيث قال :  
إنه حينما بنى المقياس بالروضة كان المعتاد فتح جميع ترع الري عند بلوغ  
تسوية مياه النيل ١٦ ذراعاً بهذا القياس ، وكان يعقب فتح الترع ضرورة  
تحويل جانب عظيم من مياه النهر لها . ولهذا السبب كان يقدر أن زيادة  
ذراع واحدة بأسوان يقابلها نصف ذراع فقط بالروضة وكان يستمر على هذا  
التقدير حتى تبلغ الزيادة بالروضة ٢٢ ذراعاً أى لحد تمام ملء الحيضان وسد  
أفهام الترع . وبعد ذلك كان يقدر أن كل زيادة تحدث بأسوان كانت تأتي  
بتمامها لمقياس الروضة ولهذا كانت ارساد المقياس بالأذرع الكاملة بعد تجاوز  
تسوية مياه النيل ٢٢ ذراعاً

أما في أيامنا هذه فنظراً لكون مياه النيل لا تمر بترع الحياض بمقدار  
كاف الا عند بلوغ تسويتها بمقياس الروضة ١٩ ذراعاً فلا فائدة من اختلاف  
أطوال الأذرع بل ربما أوجب الالتباس

ومما يحسن إirاده هنا أن لا فائدة من دلالات مقياس الروضة في فصلي  
الشتاء والصيف لأن الرد الناتج من الحجز على القناطر الخيرية اثناء هذين  
الفصلين تجعلها غير دالة على حالة مياه النيل بالتمام<sup>(١)</sup>

هذا وفي سنة ١٨٨٦ م قد وضع السير ولیم جارستن لما كان مفتشاً لرى  
القسم الأول مقياساً آخر مقسماً بالأمتار داخل بئر المقياس الأصلي وجاء  
رصده يومياً من ذلك الحين مع المقياس الأصلي

ومما عساه يكون فيه فائدة للعموم العلم بأنه لم تعمل مباحث لحد الآن  
للعلم بالنهاية السفلى لتقسيم المقياس وإنما قد ربطت بواسطة الميزانية هذه  
التقسيم بسطح البحر المالح الأبيض المتوسط فوجد أن منسوب ٦ أذرع

(١) ابتداء الحجز على القناطر الخيرية كان من سنة ١٨٨٤

هو ١٢,٠٥٢٥ فوق سطحه . هذا وكان في عزم السير ولیم جارستن عند ما وضع المقياس المترى أن يزيل القاويس الموضوع فوق عمود المقياس الذراعى ويرد التاج الذى كان صنعه الفرنسيون الى محله الأسمى ورسم مقياس الروضة صفحة ٨٧ ينبئنا بما كان عليه من يوم انشائه الى الآن وعلى الزيادة التى استتزم الحال وضعها فوق عمود المقياس مقسمة على مثال تقسيمه الأسمى وعليه وعليها التقسيم المترى الحديث المنوه عنه بهذا

### الضرائب المصرىة القديمت

وجد منقوشاً على معبد ادفو ديباجة كأنها عن لسان النيل تقدم أقاليم مصر الى المعبود حورس الكبير إله أدفو بما معناه : « جئت اليك أيها المعبود العظيم استعرض تحت بركاتك جميع الأشياء والمحاصيل والمباني والمعاهد، وخدمة الأماكن المقدسة القائمين بواجباتهم الدينية، معربين بمظاهر أفراحهم المتنوعة واعيادهم المستديمة، اعترافاً بان النيل الذى يستمد فيضه من المعبود المحترم ادى واجبته فى إرواء الأرض ونتاج النبات، فهو وكل ما يستفيد بمنافعه تجود به الأرض على الزراع أثر من بركات هباتك، فتقبل هداياه لأن فيض النيل هو المساعد على استبقاء الحياة للأجسام، وبواسطته يستطيع العباد تقديم هداياهم وقرباتهم الى الآلهة، وتوالى فيضه تنضاعف عنايتهم باقامة الأفراح وتأدية الشعائر المألوفة، شكراً لهذه النعم، وبقبولك هديته تنبث فى الشعب الشجاعة والحركة الطيبة. فاليك نضرع فى هذا الاحتفال وبك تنمى دوام الفيض بالبركات ». ومن هذا المأخذ يتضح أن رضاء البلاد لا يكون إلا بتوفر المياه وموازنتها هى الأساس الأول فى ترتيب المنافع واقتسامها بين الشعوب،

وتقدير المكافأة من الشعب الخاضع للهيمنة الحاكمة المسيطرة بالنظامات على النيل والتجارة وتعليم الشعب والدفاع عن البلاد. ومن هذا أيضاً ارشدنا التاريخ الى أن الضرائب تفرض على الأراضى الزراعية بنسبة درجتها فى الخصوبة ووفرة المحاصيل ، لأن بالضرائب تستطيع الحكومات تنظيم الشؤون العامة جهد استطاعتها وتبذل عنايتها فى ترقية الأحوال باقتضاء العصور وتطورات الأدوار العمرانية .

وقد كان التعامل فى السابق جارياً عن تبادل العروض التجارية ، والمحاصيل بنسبة اصطلاحية ، ألفوا قبولها فيما بينهم باعتبار أن الأردب القمح يعادل كذا من الأقمشة ، ويعادل كذا من باقى المطاعم وأدوات المبانى ونحوها فكان الفلاح يدفع للسيارف مقادير من المحاصيل على نسبة زراعته ، وصاحب الأغنام يؤدى عدداً منها بنسبة عدد أغنامه وهكذا .

وكان بعض الملوك يجعل علاوة على تقدير الضرائب بأنواعها بالأسلوب السالف ذكره قيام بعض القرى والمدائن بتعمين طوائف من المستخدمين الذين يكفون بتنفيذ نظامات الري ، والمحافظة على الترع والجسور ، وتطهير الجداول ومؤاساة الذين يؤسرون فى الحروب بما يحتاجونه من الطعام الى أن يتوفر لديهم من كسب أيديهم ما يكفى باحتياجاتهم

والقرى التى كانت لاتستطيع النفقات لائىك الموظفين ، كانوا يكفون أفراداً منها بما يناسب أحوالهم من هذه الأعمال . وجاء فى التوراة أن فرعون كان يسخر قبائل بنى اسرائيل فى هذه الشؤون

وكان عدد المكلفين لتحصيل الخراج كثيراً جداً . والقصد من كثرتهم تسهيل الحصول على ما يمكن فى أيدي المزارعين ليسهل على المحصلين توريد ما جموه الى الأماكن الحكومية التابعة لها مناطقهم بإيسر مستطاع ،

باعتبار أن الكميات التي تجب يجب عرضها المعاملات التجارية ، حتى لا تزدحم بها المخازن الحكومية ، ويترتب على تراكمها تعرض البعض منها الى التلف ، أو أن يؤدي ذلك الى شبه احتكار في المطاعم ونحوها ، فكانت وجهة الملوك في هذا الوقت سعة الرأفة بالطبقات الفقيرة ، وأن من صالح هذه الطبقات تسهيل السبيل أمامها في موارد الارتزاق وأوجه الكسب

وكان عمال الخراج يدعون باللغة المصرية القديمة ( ونو ) وفي عهد الدولة الحديثة ( سنو ) وبالقبطية ( سون ) أى جابي خراج المزارعين وكان تقدير الخراج بعد مقياس النيل ويتم تحصيله قبل تمام الفيضان ، اذ كانوا يحلوه يمتنعون عن تحصيل الضرائب وكانت أعمال الجباية وتحديد مقادير الضرائب غاية في الدقة ، ولهذا يلتجئ الجباة الى استعمال وسائل للاخضاع في دفع ما عليهم . وكان بعض المزارعين يتدهر من الضرائب كلما تجدد ربطها عاماً بعد آخر ، لأنه يظن نفسه مغبوناً في التقدير باديء بدء . وعند ما يتأكد أن التقدير جاء طبق ما وصلت إليه التجديدات الفنية بعد مقياس النيل يذعن للأداء . وقد جاء في بعض الأوراق البردية مثل ورقة أنسطاسي وساليري أن بعض محصلي الأموال كانوا اذا أعيامهم الأمر لجأوا الى ضرب الأشخاص بالعصى أو تفضيسهم في الماء الى أن يدفع الماطل ما يكون متأخراً عليه

وكان تحت أيدي هؤلاء الكتبة المكلفين بجبايات الضرائب وتحصيلها مستخدمون كثيرون بألقاب متنوعة . فمنهم من يلقب المكلف بمون الفم ومنهم من يلقب برؤساء الشون أو المخازن . وفي التوراة ما يؤيد ذلك لاسيما في قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

وكان للمعبود خراج آخر فوق خراج الحكومة علاوة ما كانوا يخصصونه من الغنائم والأسلاب الحربية ، وهذا خلاف الهدايا التي كان يقدمها الشعب

خدمة المعابد . وكان الكاهن يلقب عندهم رئيس شون امون ووكيل خزانته  
وكان الشعب المصرى يدفع العشر للمعبود . ومن المؤرخين من كان  
يظن أن أداء هذا العشر من مخترعات الشعب الاسرائيلى ولكن اتضح أنه  
كان موجوداً فى مصر من الزمن القديم

وقد اكتشف حديثاً شاهد للملك نقتانيبو الثانى ووجد منقوشاً فيه  
أن الملك بسبب انتصاره على غريمه فى جهات الدلتا وهب لوالدته المعبودة  
نيت رفع عوائد المكوس التى كانت تدخل خزانته من هذه البلاد

وكان من عاداتهم اذا جاء الفيضان ناقصاً ان يخفض من قيمة الخراج  
مقدار يعادل نقص الفيضان ، ويؤيد ذلك ما وجد فى بعض النقوش لأمونى  
أمير الأقليم ( مح ) فى عهد الملك سنوسرت بما معناه : « لما كان النيل مرتفعاً  
والمحاصيل جيدة لدرجة ساعدت فى ثروة المزارعين ، لم أفرض عليهم ضرائب  
جديدة ليكونوا على الدوام فى فرح وشكر » . وهذه الجملة تثبت أنه عند نقص  
الفيضان يراعى تخفيض الضرائب بقدر هذا النقص ولا يجوز تقرير ضرائب  
جديدة .

ووجدت فى نقوش أخرى لأمرأ أسيوط فى عهد الملك خيتى الأول  
عبارات عن تاريخه بالمعنى الآتى : يفتخر الملك خيتى الأول بأنه أغنى المزارع  
وساعده على الرفاهية حتى جعله يقاتل بقمح بدلاً من الذرة الذى كان القوت  
الغالب لعموم المزارعين فى تلك الأدوار

وكانت طريقة الجباية مرتبة على أشهر المحاصيل ، لأن الخراج كان يؤخذ  
من أجودها ووجد فى بعض النقوش على قبر أمتين الذى كان معاصراً لأحد  
ملوك الأسرة ٦ ما يؤيد هذه القاعدة وسريان العمل بها الى عصر الأسرة ٢٤  
وفى عصر البطالسة والرومان كان الملك يشرف على لجان تقرير الخراج

التي تؤلف في كل ولاية لتقدير قيمة الأراضى ومحصولاتها، ووضع الخراج لها بدرجة تطابق حالتها. ويقصد الملوک بهذا الاشراف منع التحيز والمجاملة من أعضاء اللجان لوجهاء الاقاليم في التقدير ورفع الحيف عن الفقراء فيما يقدر عليهم

وقد عثر سابقاً على رسوم نحاسية بها نقوش مضمونها أن فيضان النيل في السنين ١٣١ و١٤٤ و١٥٣ كان حسناً جداً

### « المكوس المصرية القديمة على المراكب »

من المكوس التي كانت مفروضة قديماً في الديار المصرية ضرائب على الملاحة فيفرض على السفن عند مرورها في مناطق معينة اداء مقدار معين على نسبة ما تحمله كل سفينة عند اجتيازها المرّ المقرر له الرسم



مركب شراعية مصرية قديمة والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بالقاعة D

ويوجد في متحف اللوفر قطع حجرية منقوش بها بيان بنقطة محددة في مدينة سين تؤدي المراكب عندها رسوماً مقررة قبل اجتيازها القنطرة ، فكانت القناطر تقفل في ممر الأنهر والترع ، ولا يصرح لها بعبورها إلا بعد أداء الضرائب ومنحها تصاريح المرور

وكانت مدينة بيلاق مرسى لأساطيل النيل . وتوجد أيضاً قطع حجرية أخرى محفوظة بمتحف اللوفر تحت رقم ٢٦ فيها نقوش صريحة بأن المراكب تدفع قبل مرورها مقداراً من الفضة أو المواشى أو الأشياء المصنوعة أو حبوباً أو ما يبنى بمؤونة العمال في تلك القنطرة مدة ٢٩ يوماً

« أموال خراج أراضى مصر في عهد العرب »

ذكر أخبار أموال خراج أراضى مصر وذلك على سبيل الاختصار . قال ابن عبد الحكيم ان أموال الديار المصرية في زمننا هذا تنقسم على قسمين أحدهما يقال له خراجى ، والآخر يقال له هلالى . فالمال الخراجى ما يؤخذ من الأراضى التى تزرع حبوباً أو نخلاً أو ما تزرع من أصناف الزراعات أو غير ذلك فهذا يسمى خراجياً ، وأما المال الذى يسمى هلالى فقد أحدثه جماعة من ولاية السوشيا بعدئى ، حتى وصل ذلك فى الاسلام . فكان أول من أحدث الأموال التى هى من وجوه المظالم بمصر أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى أمر خراج مصر بعد سنة خمسين ومايتين ، فانه كان من دهاة الناس ومن شياطين الانس ، فابتدع فى مصر بدعاً كثيرة فصارت مستمرة من بعده الى الآن ، فحجر على النظرون وكان مباحاً ، وقرر على الكلا الذى ترعاه البهائم مالا وسماه المراعى ، وقرر على الأسماك التى تصاد من البحر مالا وسماه المصايد وكانت مباحاً من عند الله للصيادين . وأحدث من أبواب هذه المظالم أشياء

كثيرة فانقسم مال مصر من يومئذ الى خراجي وهلالى ، فلما ولى الأمير أحمد بن طولون أبطل هذه المظالم التي أحدثها أحمد بن محمد بن مدبر وكتب بأسقاطها في جميع أعمال الديار المصرية . وكانت نحو من مائة الف دينار في كل سنة . فلما كانت الدولة التي يقال لها الفاطمية أعادوا جميع ما أبطله الأمير أحمد بن طولون من المظالم والمكوس . فلما ولى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر بأسقاط تلك المكوس من أعمال الديار المصرية كلها ، وكتب بذلك مرسوماً بخط القاضي الفاضل ، فلما ولى ابنه الملك العزيز عثمان أعاد تلك المكوس التي أبطلها أبوه صلاح الدين . فلما ابتدأت دولة الأتراك وولى الملك المعزايك التركمانى وانقرضت دولة بنى أيوب جدد عدة مكوسات وضمانات ، وأخذ أموال التجار . فلما ولى الملك المظفر تطز جدد عدة مظالم عند خروجه الى هلاكه ، وصادر الناس وأخذ على الأملاك والأراضى والنخيل والروس من ذكر وأنثى ، وأحدث من هذه الأنواع أشياء كثيرة من أبواب المظالم ، حتى بلغت هذه المصادر نحو ستمائة الف دينار . فلما ولى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، أبطل جميع ما كان أحدثه المظفر قطز من أبواب المظالم كما تقدم ذكر ذلك ، فلما ولى الظاهر برقوق أبطل من المظالم أشياء كثيرة ، مما كان يؤخذ على القمح والشعير والفول ، وما كان يؤخذ على الدبش والحلفا بباب النصر ، وأبطل الأبقار التي كانت ترمى على الناس بالوجه البحرى عند فراغ الجسور ، وأبطل من هذا النمط شيئاً كثيراً . فلما ولى الملك الناصر فرج بن برقوق زاد في الظلم وتجديد المكوس بواسطة جمال الدين يوسف الاستادار . وهو الذى جدد المكوس على بيع السمك البورى فعلا سعره بالقاهرة وقل وجوده

## « خراج مصر في الاسلام »

قال ابن وصيف شاه : جبي خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص لما فتحها مكانة اثني عشر ألف ألف دينار . ثم جبي عبد الله بن أبي سراح في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار ، فقال الامام عثمان لعمر بن العاص يا ابا عبد الله درت اللقحة بعدك فقال له عمرو بن العاص نعم درت ولكن اجاعت اولادها . وهذا الذي جباه عبد الله بن أبي السراح ، انما اخذه على الجماعم والروس خاصة دون الخراج ثم من بعد ذلك انحط خراج مصر حتى جباها أسامة بن زيد عامل مصر في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي اثني عشر ألف ألف دينار . فلما ولي الأمير احمد بن طولون على مصر وجدها خراباً ، وقد انحط خراجها حتى بقي ثمانماية ألف دينار ، فلا زال يجهد في عمارتها واصلاح جسورها وقناطرها حتى بلغ خراج مصر في أيامه أربعة الف الف دينار ، وثلثمائة الف دينار وجباها ابنه سخاورية الف الف دينار مع وجود الرخا حتى قيل بيع في أيامه كل عشرة أرباب قح بدينار فبلغ خراج مصر في أيام الأمير محمد بن طنج الأخشيدى ألف ألف دينار ، فلما قلد جوهر القائد من الغرب في أيام الخليفة المعز الفاطمي جبا خراج مصر في أيام الفاطميين الف الف ومايتي الف دينار ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وجباها في أيام الحاكم بأمر الله ثلاثة آلاف الف دينار وأربعمائة الف دينار وذلك في سنة ستين وثلثمائة . قال المسعودي آخر ما اعتبر في أحوال أراضي مصر فوجد حرثها ستون يوماً ومساحة أرضها مائة الف الف وثمانون الف الف فدان وأنه لا يتم خراجها حتى يكون فيها أربعمائة الف وثمانون ألف حرث يلزمون العمل دائماً ، فاذا أقيم بها ما ذكرنا تمت عمارتها وكل

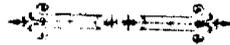
خراجها ، وآخر ما كان بها مائة الف وعشرون الف مزارع فكان بها في الصعيد الأعلى سبعون الفاً من مزارعين ، وفي أسفل الأرض خمسون الفاً من مزارعين وقد تغيرت أرض مصر الآن تغييراً فاحشاً في جميع ما كان بها من الأحوال القديمة واختلت اختلالاً فاحشاً فلذلك قلَّ خراجها وضعف حال جندها

### رأى العلماء في بحيرة مريس

لما كان يتوقعه أمميجعت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة من المضار التي يحدثها طغيان الفيضان ، أو ترتب على نقصان الفيضان عن مناسبه ، أتم مشروعاً عظيماً وذلك بأنه رأى غربي مصر واحة أراضيها زراعية (باقليم الفيوم) ممتدة في الصحراء ، وتتصل ببرزخ في ناحية يرويها النيل ، وفي وسط هذه الواحة يمتد سهل فسيح فيه أرض واسعة منخفضة ، تمثل وادياً فيه بحيرة طبيعية (المروفة الآن ببحيرة قارون) وطولها أكثر من ثلاثين ميلاً ، فنفذ مشروعه الجليل بإنشاء بحيرة تتصل الى هذا الفضاء ، ومساحتها تضاهي ( ١٠٠٠٠٠٠٠ ) متراً مربعاً لتدخر فيها المياه ، فيستفيد منها الأقليم اذا جاء النيل شحيحاً ، والجانب الأيسر لها يمتد الى البحر الأبيض المتوسط ، فينحدر الى هذه البحيرة كل ما يزيد عن الحاجة في زمن الفيضان . وما تضيق به هذه المساحة ينصرف الى بركة قارون بواسطة ترعة أعدت لذلك

فاشتهرت هذه البحيرة وأجل مشروعها عظماء الرجال الهندسيين وتدعى الآن بحيرة مريس . وكلمة مريس معناها باللغة المصرية القديمة بحيرة . ولما رأى هيردوت هذه البحيرة أطنب في وصفها وبالفروائد الجملة الناتجة عنها ، وقال إنها كانت تبعد عن النيل مسافة سبعة أيام وكان عمقها خمسين باعاً .

واقترض علماء الآثار نظريات كثيرة عنها . وقال المهندس لينان الذي كان من رجال الري المعدودين في عصر الخديوي اسمعيل باشا إن بحيرة مريس هي شرقي إقليم سلسلة جبال ليبيا في جهة بيجيج وبهبجور ذات التلول الممتدة قبلي حوض الفرق ، وقد وافق ليدسيس العالم الأثري الألماني على هذا الرأي ولكن العالم ماسبرو لم يؤيده ، وأيدت مذهبه فيها أبحاث مصلحة الري الحديثة وقال : لا أظن وجوداً لهذه البحيرة . وقد يكون المؤرخ هيردوت لما زار مصر كان مروره بتلك الجهة في زمن الفيض الذي تكون المياه فيه متدفقة في حياض البلاد كلها ، ويظنها الناظر بجرأ واحداً وتخيّل الحواجز بين حياض البلاد ضفة لبحيرة دائمة ، فكتب عنها ما وسعه ظنه بدون بحث ولا تحري عن الحقيقة ، ولكن إذا كانت هذه البحيرة احدثت كما وصفها الرواة فإنها تكون من أعظم المفاخر للعقول البشرية ومن أكبر الآثار لأعظم الملوك في عمران البلاد وخصبها وإلى المباهاة والاعتراف بمزايا هذه البحيرة تكلم كثير من علماء الغرب في فوائدها وانها بما يترتب عليها من المنافع في توازن الري والقيام بارواء البلاد المجاورة عند تقص الفيضان تعد أعظم شأنًا في الفخر لعظماء الملوك ممن حصروا أعمالهم على تشييد الاهرامات ونحوها ، لأن الاهرامات تدل على عظمة وسطوة فقط ولكن انشاء البحيرات وتمهيد السبل لأصلاحات الري أكبر فائدة وأحق بالشكران لما يترتب عليها من منفعة بني الانسان



## أعياد النيل

عند قدماء المصريين

عرف من الآثار التي استكشفت أن المصريين كانوا يقيمون للنيل احتفالات تشبه الأعياد، ولم يذكر المؤرخون عنها إلا شيئاً قليلاً، فمن ذلك ما قاله « بلين » المؤرخ الشهير « ان المصريين في عصره كانوا يقدمون الغذاء للتماسيح ويلبسونها بعض الثياب في وقت الفيضان ويلقونها في النيل فتبدو ألوان الثياب الناصعة في منظر بهيج يروق الناظرين

والذي لا شك فيه أن كل الاحتفالات الخاصة بالمهرجانات التي تقام افيضان النيل سنوياً كانت بمنزلة فريضة دينية يحترمها الناس كاحترامهم للنيل وكان رؤساء النيل يقيمون لها الزينات المعتادة للأعياد العامة

وجاء أيضاً ما نصه « يستقبل الشعب المصرى بالفرح والسرور ظهور مياه السلسلة المقدسة فابتهاج النفوس وفرحها بمجىء النيل أمر طبيعي ، ويجب أن يعد فيضانه في مقدمة الأعياد التي بحلولها يهنئ المصريون بعضهم بعضاً

وجاء في أنشودة النيل المكتوبة في ورقة انسطاسى البردية ما نصه « أيها الفيضان المبارك قدمت لك القرابين والذبايح، وأقيمت لك الأعياد العظيمة، وذبحت لك الطيور واقتنصت لتحيتك الغزلان من الجبال، واعدت لك النار الطاهرة، وقدم لك البخور والنعم السماوية والمعجول والثيران، فتقبلها هدية شكر واعتراف بفضلك »

وجاء ذكر أعياد النيل في مائدة القرابين محفوظة في متحف فلورانس

ويرجع تاريخها الى ملوك الاسر الثلاث الاولى

وقال « ماسبيرو » فى هذا الموضوع « عند ما يصل الماء المقدس الى جدران مدينة « سين » يقدم الكهنة أو الحاكم أو أحد نوابه ثوراً أو بظاً ويلقيه فى الماء فى حرز من البردى محتوم عليه ويكتب فى الحرز الأمر الملكى الخاص بنظام الفيضان ومتى ترأس الملك نفس هذا الاحتفال نقشوا فى الصحراء وسجلوا هذا الحادث تذكراً تاريخياً . وإذا تغيب الملك عن الاحتفال ناب عنه الكهنة باحتفال عظيم ، حاملين تمثال المعبود سائرين به على ضفاف النيل والجسور مرتلين الأناشيد »

من المستندات الرسمية الباقية عندنا الآن شواهد السلاسل الثلاث ، ويرجع تاريخها الى عهد الملوك رعمسيس الثانى ، ومنفتاح ابنه ، ورعمسيس الثالث ، وهى تنقسم الى جملة أجزاء فبعد مقدمة رعمسيس الثانى تقرأ أنشودة النيل وخطاب الملك بالتهليل للمعبود ثم القرار الذى يحدد تاريخ الأعياد ويالحق به كشف القرايين وملخص ترجمته كالاتى :

« فى السنة الأولى والشهر الثالث من فصل الحصاد ، واليوم العاشر فى عهد المنير الشمس الملك القادر المحبوب من الحق ، صاحب التيجان حاكم مصر المنتصر على البلاد الجبلية جورس الذهبى المديد العمر المبارك ملك الوجهين البحرى والقبلى ، رعمسيس المحبوب من أمون أبو الآلهة الذى يمنحهم الحياة والبقاء والقوة كالشمس الى الأبد فليحى الإله الطيب النيل الذى يحيى النفوس بجوهره والثروة بشمراته . أنت أيها الوحيد الذى تظهر من نفسك ولا يعرف أحد ما تحويه ، والكل يفرح بظهورك من مخبئك فىك تربي الاسماك العديدة ومنك تفيض الخيرات على مصر ، فأنت خلقت لأجلنا ، ويسرُّ بك الناس والمعبود « نون » متى قدم له القرايين أهالى البلاد ،

وأتحدوا معه في فرح الترحية بقدم النيل المضيء . خيراتة على البلاد تستفيض  
من صنع يديه وتتدفق بركاته »

« وقد أمر الملك بتقديم القرابين لأبيه أمون رع ملك الآلهة مرتين في  
السنة في زمن مياه السلسلة المقدسة وفي مكانه المكرم الذي لم تكن قبله مياه .  
حياة وسلام وقوة

« فتقدم القرابين في اليوم الأول من شهر سايت وفي الخامس عشر  
من شهر توت وفي الشهر الثالث من فصل الفيضان والخامس من شهر أيب  
كضريبة سنوية »

« ويلقى في النيل عجل أبيض وثلاث اوزات وهدايا ثمينة ( لا بنت  
عذراء كما يزعمون ) ثم الكتاب الشامل لتفصيلات المهرجان وأنواع الهدايا  
للإله أمون رع ملك الآلهة ورب مدينة طيبة »

ومهما اختلف المؤرخون في تواريخ أعياد النيل ونماذج احتفالاتها فلا  
تخرج عباراتهم عن قول واحد وهو بذل جهدهم في مظاهر الأفراح عند مبادئ  
الفيضان ، وإلى ذلك أشار العالم الأثرى « دي روجيه » إذ قال : « في اليوم  
الخامس عشر من شهر توت جاء فيضان النيل في سلسلة وفي ١٥ أيب صعد  
النيل فقدمت القرابين والهدايا للمعبود « حمنى » وفي ذلك اليوم كانوا يقفون  
له ميثاقاً مكتوباً من ديوان الملك فيقبل النيل هذا العهد ولا يتخلف عن  
وعوده فيمنح مواهبه أرض عبيده المؤمنين »

وفي نتيجة « مدينة هابو » تاريخ أعياد يحتفلون بها ويظهر أن قدماء  
المصريين كانوا يحتفلون في يوم ٣٠ من شهر كيكحك بعيد الصليب . قال  
« بروكش باشا » انهم كانوا يحتفلون بهذا العيد في جملة مدائن مثل ادفو  
ودندره واسنا

وكانوا يجعلون لمقياس النيل عيداً خاصاً فيحمل مقياس النيل في معبد

سيرايديس

وروى « سنيك » الفيلسوف الروماني ان المصريين في عهد الرومان

كانوا يلقون في نهر بيلاق القرابين ويلقى الحكام بعدها هداياهم من الذهب

وأنواع الخلى

ولا زال تقليد الاحتفال باعياد النيل باقياً الى يومنا هذا ، ولا نعث على

نص مصرى يؤيد ما نسب الى قدماء المصريين عن تقديمهم ذبيحة بشرية

في حفلة فيضان أو لأجل أن يجود النيل على البلاد بفيضه السنوى

ويظهر أن منشأ هذه الخرافة قصة رواها « بلوتارك » المؤرخ اليونانى

وتناقلها عنه غيره من قومه ومن الرومان ومن العرب اذ قال « اعتماداً على وحى

اجيبتوس ملك مصر قدم ابنته قرباناً للنيل ليخفف غضب الآلهة وأنه بعد

فقد ابنته ألقى بنفسه فى النيل

فهذا القول هو أصل الاعتقاد بتقديم فتاة عذراء قرباناً للنيل المعبود

كل سنة . ويكفى أن البداهة الذوقية تكذب هذا الزعم بعد العلم الراسخ بما

كان للمصريين من القدرح الملقى فى المدنية ورقة الشعور وسمو العواطف

حتى مع الحيوانات العجم ، فبالأولى تسمئ سجيئهم عن القاء فلذة كبد من

اكبادهم فى مجرى المياه المتلاطم الأمواج التى لاتبقى شيئاً من ارهاق النفوس

واختطاف الأرواح من أجسادها ، ولم يكن هناك أقل نسبة عقابية بين

اقتراف هذا الجرم وانخداع النيل بارتكابه

أما ذكر عروس النيل بلفظة « ريت » المشار اليها فى ورقة « هريس

البردية » فيكفى فى اثبات أنه خرافة وخطأ ان لفظه « ريت » هو علم على أحد

أشكال النيل المؤنثة وليس علماً على عروس كانت تلقى فى النيل كما زعم بعض المؤرخين . والقول باستمرار العادة بالهدايا الذهبية والطيور والحيوانات لا ضرر منه ، وغاية ما يلتبس به العذر هو التفاؤل بأن يكون الفيضان سخياً على مجموع الخلائق يجود بأهم ما تشتهه النفوس

### فى العصور الوسطى

استمر المصريون على ما ألفوه من عادات الأعياد ورسوم الحفلات ، ولم يغيروا حقاوتهم بها مع ما طرأ على ترتيباتها من التفاوت فى الرونق والأوضاع ومظاهر الزينة ، فهى كانت عرفية ووراثية وقومية ودينية الى أن جاء الفتح الاسلامى بمصر ، فحذا كثيراً من العادات ولا تزال بعض آثارها باقية الى يومنا هذا . وفى كثير من المتاحف بالمدائن الشهيرة بعض بقاياها الدالة على ما كان للنيل من المكانة فى النفوس ، والنيل من حيث هو منبع الفيض والخيرات يبقى بمكانته العمرانية فى ارفع مراتب التجارة والاحترام . فهو كما تقدم كأنه انتزع من مساحات الصحراء كميات وافرة كانت مجدبة فالبسها حلة الرغد والسخاء وجعل القاطنين بها أغنياء بعد الفقر ، وذوى سعة ويسار بعد ان كانوا فى حضيض الفاقة والضنك

ولا زال الاحتفال بمهرجان النيل متبعاً فى نوعيته الى الآن فكان المصريين فى محافظتهم على تقاليد آباءهم افترضوا على حكامهم احترام تقاليدهم وعقيدتهم فى النيل المقدس

وكان من عقيدتهم فى عهد الفراعنة ان دمعة المعبودة اريس تنزل فى النيل وتسبب فيضانه فبقيت هذه العقيدة الى العصر المسيحى ، وظن الاقباط أن النيل يفيض بنقطة إلهية تنزل من السماء ، ونجد فى النتيجة السنوية القبطية

أنه قبل انقلاب الشمس في الصيف بأربعة أيام أى في اليوم الحادى عشر من شهر بؤونه يحتفل بعيد ليلة النقطة السماوية التي تطهر الهواء وترفع الطاعون عن الأرض ، ويقول البعض إن جبرائيل رئيس الملائكة يصلى قبل ذلك بثلاثة أيام ويدعو حتى تفيض مياه النيل فيسجد ويتوسل الى ربه بأن يفيض النيل وينزل الى الأرض المطر والندى ، ويحمل في يديه سيفاً لطرده الشيطان واليه فيما يقولون يرجع فضل نزول النقطة الالهية

فالأقباط حافظوا على تقليدهم القديم حتى أتت النصرانية وجعلوا يوم نزول النقطة عيداً وقد جاء في بعض النصوص ذكر النقطة السماوية وليلة موج الدموع وان قصة قتال جبرائيل رئيس الملائكة للشيطان تشبه كثيراً قصة حورس المنتقم لأبيه من ست ، وأبيه ازوريس رمز الأرض السوداء المنحسبة وست رمز الصحراء المجذبة

ومتى حان وقت نزول النقطة يتوالى الفيضان ويرتفع الى درجته المعلومة ومن العادات المألوفة الى اليوم أن بعض الناس اتخذوا المناداة للتبشير بمبادئ الفيضان في أوائله سبباً للارتزاق بما يسديه اليهم الناس عند هذه البشرى ، فيهنئ بعضهم بعضاً بحلول موسم النيل كالتهاى المألوفة في الأعياد السنوية ثم يأتى عيد زواج النيل والاحتفال بقطع الخليج والقول بزواج النيل مبنى على تلك القصة الخرافية قصة لقاء فتاة في النيل تلك الفتاة التي استبدل بها الى عهد قريب تماثيل من الخشب يحلى بملابس ويزين بالقصب ونحوه وأما الاحتفال بالنيل والقاء النقود ونحوها في عبراه فهذا على سبيل التفاؤل كما تقدم . ومن التماثيل الموجودة في متحف اللوفر تماثيل رمزية يمثل النسر من صنع مدينة الاسكندرية وهو يشبه أحد تماثيل النيل المحفوظة الى الآن بمتحف الفاتيكان في رومه

### في العصور الحديثة

نقل المقرئ في خطه عن ابن الحكم<sup>(١)</sup> من اخبار مصر انه في سنة ٢٣ بعد الهجرة لما افتتحها عمرو بن العاص جاء اليه الأقباط وقالوا ان للنيل سنة لا يجرى إلا بها، قال وما هي فقالوا اذا خلت اثنتا عشرة ليلة من شهر بؤونة من الشهور القبطية عمدنا الى جارية بكر مليحة نأخذها من أبيها غصبا ونجعل عليها الحلى والحلل، ثم نلقيها في بحر النيل في مكان معلوم عندنا. فلما سمع كلامهم قال هذا لا يكون في الاسلام أبداً، فأقام أهل مصر أربعة أشهر بؤونة وأيب ومسرى وتوت لم يزد فيها النيل لا كثيراً ولا قليلاً. ولما رأوا ذلك هموا بالجلاء عنها، ولما رأى عمرو بن العاص منهم ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فلما وصل اليه ذلك الكتاب وعلم ما فيه كتب بطاقة وأرسلها الى عمرو بن العاص وأمره أن يلقيها في نهر النيل، فلما وصلت اليه تلك البطاقة فتحها فاذا مكتوب فيها:

« بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى نيل مصر المبارك، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وان كان الله تعالى هو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك » فلما وقف عمرو بن العاص رضى الله عنه على ما في البطاقة ألقاها في بحر النيل قبل عيد الصليب بيوم واحد، وعيد الصليب يكون في السابع عشر من شهر توت فأجرى الله تعالى النيل في تلك الليلة ستة عشرة ذراعاً في دفعة واحدة

وروى بعض السائحين بمصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر بعد الميلاد أن المصريين استبدلوا بالفتاة البكر عروساً من الخشب يلقونها في

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى صاحب كتاب فتوح مصر وغيره وتوفى سنة ٢٥٧ هـ (سنة ٧٨٠ م)

النيل وهذه الآثار باقية من العهد القديم واليك وصف الاحتفال :  
يتألف الموكب من حاكم البلد وطوائف عديدة من الأقباط والعلماء  
والأعيان ورجال الدين والبطرك وفريق من رجال الاكليروس وتتبعهم  
الموسيقى وخلفها الجماهير يصفقون ويترنمون بالأناشيد ، ثم يلقون العروس  
في النيل وقت فتح الخليج

ثم اتبع الأقباط عادة أخرى في الاحتفال في عيد الشهداء الواقع في  
بشنس فكانوا يلقون في النيل أصبع أحد أجدادهم موضوعاً في علبة كما رواه  
المقريري وذكر أن السلطان قلاوون حاكم مصر أبطل هذه العادة سنة ١٧٠٢ هـ  
ولما أتى بونابرت مصر ترأس حفلة النيل باعتباره اكبر حاكم للبلاد ولا يزال  
المصريون يحتفلون بوفاء النيل ، ويقيمون الأفراح في كل الجهات احتفالاً  
به فيكون بالرونق والزينات عيداً مشهوداً

وروى المؤرخون اليونانيون أنه كان لكل اقليم من الأقاليم المصرية  
القديمة آلهة خاصة إلا أن جميع القدماء أجمعوا على تقديم فرائض خاصة للنيل ،  
وكان لفيضانه العجيب احتفال سنوي كعيد يتهج به جميع أفراد الشعب  
وكان من عقائد القدماء أن لكل شيء روحاً وحياة وإرادة وشخصية  
سامية من هبات المعبود الأعلى ، وان النيل يشفي من الأمراض وأن الأقباط  
والمسلمين وان كانوا أبطلوا الاعتقاد بألوهية النيل ، لكنهم لا يزالون  
يصفونه بقولهم النيل المبارك . وفي زمن فيضانه كان البطرك يذهب الى النيل  
مصحوباً بحاشيته الى مصر العتيقة ويلقى في النيل صليباً من الفضة . وكان  
الترك يحتفلون به رسمياً ، ومتى انتهى الاحتفال كانت الجماهير تلتقي في النيل  
الحبوب والثمار والسكر والخبز والدرهم ويفتسل الأطفال في مياه النيل ،  
وبعض الناس يغتسلون أيضاً ببول ماء يمر في الخليج طلباً للشفاء وازالة العقم

وكان من المتبع قبل اليوم المحدد لجعله يوم وفاء النيل ان يضعوا في مصر العتيقة تماثيلين كبيرين عليهما أنوار مركبة على منصة من الخشب مسندة على مراكب وهذان التمثالان يمثلان رجلاً وامراًة ويسميان العروسين وكان من عادتهم صنع عروس أخرى من الطين ويلقونها في النيل يوم الفيضان

وقال « هيردوت » ان المصريين كانوا يكرهون ذبح الحيوانات فمعقول جداً أن يترفعوا عن ازهاق الأرواح التي قيل إنهم يقدمونها كقربان وضحية طلباً لوفاء النيل

ولياحظ ان كل أمة يدخل عليها دين جديد ينشر عنها خرافات كثيرة واذا تأملنا رواية ابن الحكم والناقلين عنه كالمقرئزي وغيره ، يتضح لنا انها خرافة مخترعة . نعم ان ابن الحكم نقل هذه الرواية عن اليونان كما نقل غيره اكاذيب أخرى في كتاب عنوانه « الأنهار » نسبوه الى « بلوارك » ودونوا به ان أحد ملوك مصر لما أبطأ فيضان النيل في بعض السنين ألقى ابنته فيه بأمر الآلهة . واشتهر في الروايات ان الاحتفال يمثل (زواج النيل الذي هو ازوريس بأرض مصر التي تمثل ازيس) فالرجع في كل الروايات الى تصور خيالي ليس إلا



## رسوم النيل

### في الآثار المصرية

قد اطلع القارىء على تفصيلات وافية تبين أن حياة الشعب المصرى تتوقف على تحسين أحوال الرى وانتظامه، ليكون من فيض النيل الخير الشامل واغداق الثروة ورواج الأحوال التجارية. وقد نقش اسم النيل فى جميع المعابد دلالة على أن القدماء كانوا يعتبرونه إلهاً يمنح الحياة والسعادة. وجاء فى الفصل ١٤٦ من كتاب الموتى « أن الآلهة تشترك فى إسداء نعمه » ونقشوه فى بعض المعابد كتمثال انسان واقف يحمل القرابين ويهبها بسخاء لجميع الخلائق من انسان وحيوان

وفى كثير من الأماكن ترى رسوم الاحتفالات بوفاء النيل لاسيما فى معابد ادفو ودندرة. وهناك ترى النيل ماراً بادراج السلم، خارجاً من نلوسه كما يخرج كل سنة من مجراه لزيينة الدنيا وخصب الأودية وتدييح وجه الأرض بالنباتات المتنوعة التى تستفيد منها الناس الغذاء والحاصلات المتنوعة ويقننون الثروة فكان أرض مصر مستودعات للنفائس الكونية بأنواعها تجوز منها على كل البقاع بما تحتاجه

وهناك أيضاً رسم آخر يمثل النيل خارجاً من سلم ( كما يخرج من مجراه ) ليملا الأرض بالحبوب معبراً عن إعطاء الآلهة الحياة والهناء لأن من نباتات النيل تتقدم حياة الحيوانات والانسان والطيور الخ .

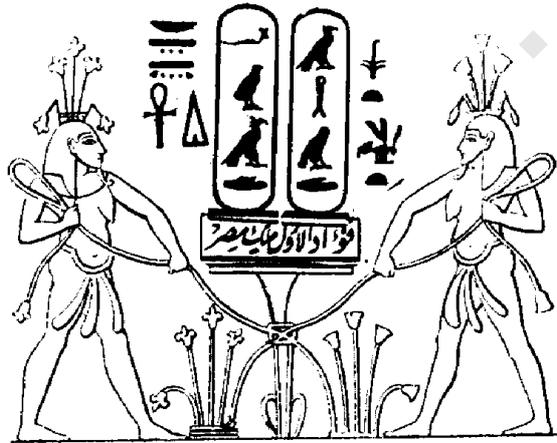
وكأن النيل يخاطب البلاد بلسان حاله بأنه مصدر رخائها وينبوع حياتها، وانه يجود بخيراته على كل من تقلم أى أرض سرى إليها فيضه، فيمنحها نعماً

مزيدة وخيرات متجددة ، ويؤدى للآلهة المحترمة كل شعائر الأجلال  
والتقديس

فالنيل بهذا الاعتبار من المعبودات الثانوية بدليل أنهم كانوا يرسمونه دائماً  
في المعابد بالجزء الأسفل وانه كخادم يهيم ، جميع الأشياء الجيدة والقرايين التي  
يقدمها للأرض ومن عليها

ووجد في تمثال محفوظ بالمتحف البريطانى بالجزء المصرى نقوش تمثل  
الملك ششبق وحوله العبارة الآتية « يقول جمعى النيل ابن الآلهة ومصدر النمو  
الذى يفيض على الوجهين القبلى والبحرى بخيراته المتدفقة فتسعد بها الحياة ،  
وتتكشف الشدائد وتنصب منه المياه على الجبلين والحوضين كيف يشأ ، ويعود  
متى أراد بعد أن يملأ المدائن والقرى بالموثن والحاصلات الزراعية

فكان هذه النقوش تصف مزايا النيل التي امتاز به واديه فى الخصب  
والرخاء وجعلته مصداق قول القائلين بأن النيل أب الآلهة والبشر واذا كانت  
جميع الكائنات تستمد حياتها من مصدر إلهى فالنيل هو أكبر المظاهر الباهرة  
لهذا المصدر الأسمى .



رسم النيلين نيل الوجه البحرى ( الى اليمين ) ونيل الوجه القبلى ( الى اليسار ) وهما يحملان  
علامة الاتحاد وعليها اسم ملكنا المعظم فؤاد الاول باللغتين المصرية القديمة والعربية

## أنشودة النيل

لقدماء المصريين

من لوازم الفطرة الراقية ابتكار الأناشيد في المناسبات التي ترتاح  
النفوس فيها الى الترنم بما يستطاب لأجلها افتخاراً واستلذاً واستبقاء  
لحسن الأحذوثة، فيتداول الناس الأناشيد كلما تجددت الذكرى  
للاحتفالات، والنيل عند قدماء المصريين قد اختصوه بما ألفوا من مظاهر  
الافراح ودلائل المسرات عند فيضانه ومواسم أعياده وقد خصوه بأناشيد  
رائعة تعرب عن شدة شعورهم ومن بينها الأناشود التي نمتها في عصره الشاعر  
المصرى القديم ووجدت مكتوبة في لوحين على الورق البردى معروفين  
بورقتي ساليير وأنسطاسي وهما من مجموعة الأوراق البردية المحفوظة الى الآن  
في المتحف البريطاني وترجمها العالمان الأثريان الشهيران ماسيرو وجبس وهما  
الذان نقلها من الشعر المصرى القديم . وترجمتها الى العربية نظماً من الرجز:

( ١ )

نسدى الى النيل سلاماً عاطراً	لأنه قد جاءنا مباكراً
اليوم عيد النيل في بشره	فكلنا تسرنا لقياه
النيل يحيي فيضه بلاده	وهي له تلازم العباده
منظره يروق للأبصار	وسره معجزة الأفكار
النيل يأتينا من الظلمات	ليملأ الأكوان بالخيرات
يروى نداء أنصر الخدائق	وينبت الأرزاق للخلائق
كأنه يأتى من السماء	ليمنح الحياة للأحياء
يحيى موت الأرض في النواحي	كأنه من عالمي فتاح
يجود بالخير (لسب) محسناً	كما (لنبرا) قد أقر الأعينا

( ٢ )

النيل رب السمك المحبوب      يأتي به من عالم الغيوب  
ويخصب النبات في الفيضان      والزهر والريحان في البستان  
ينبت قحماً وشعيراً جيداً      ولن يصد النيل عنه أحداً  
بالنيل ينجو من شقاء الدهر      كل فقير من أهالي مصر  
في نعمة النيل لهذا الوادي      سعادة الحكام والأفراد  
والبلاء في الفيض يضر الخلقا      ويغضب الرب الرحيم حقاً

( ٣ )

فيوضه تأتيه من أتوم      فنجتني من خيره المقسوم  
وتنتفي أوهام كل خائف      بالنيل فهو مصدر اللطائف

( ٤ )

كأنك الخالق للأشياء      وما نوح الضعاف بالنعاء  
ومن نذاك نمنح القربانا      فلا نخاف بعمده هوانا  
كل غني منك يرجو نعمته      ويمنح المحتاج منها رحمة  
فأنت للغني والفقير      ملجأ كل الخير والتيسير

( ٥ )

أنت رئيس سفن الحياة      تمرى بها لساحل النجاة  
أسرار مجراك علينا خفيت      لكن مزاياك لدينا عظمت  
فلست محتاجاً الى قربان      ولست تخشى خدع الانسان

( ٦ )

ولست محتاجاً الى مكان      فأنت رب الفيض والاحسان  
يلقاك بالتصفيق عند اللقيا      مستبشرين كل من في الدنيا  
فأنت تحي مهجة الظمان      وحارس الملوك والتيجان

( ٧ )

منك المعونات على الدوام  
وأمرك المطاع في البلدان  
وتملأ القلوب حباً صادقاً  
أولاد «سبك» منك في أفراح  
مقرونة بالحمد والاعظام  
تقبله النفوس بالاذعان  
وتجعل الكون بشكر ناطقاً  
وأهل «نيق» بك في انشراح  
أمام مجراك من الجنود  
فيضك اذ يأتي بكل رغد  
يفنى العباد عن شقاء الجهد

( ٨ )

يضيء منك الماء حين يبدو  
لم تتخذ فيما ترى أعواناً  
فأنت روح الكل في الوجود  
بعد الظلام وهو ما تؤد  
ولم تدع لحاكم سلطاناً  
أنعم بفيض النيل من مقصود

( ٩ )

تأتي وتمضي طبق ما تريد  
وكل ثوب من هموم ماضية  
فأنت للسقام نعم البلسم  
تجيب بالفيض رجاء الأمة  
يحوى ثراك أنفس المعادن  
لكن بالقمح حياة الناس  
وكم تطيع ربها العبيد  
تنزعه بشرى التلاقي الزاهية  
ومنك للجميع تصفو الأنعم  
وتصطفئها بعميم الرحمة  
فتكثر الأموال في الخزائن  
وليس بالأموال في القرطاس

( ١٠ )

في عيدك الصغار والكبار  
ويستطاب الأنس والسرور  
فأنت حقاً زينة البلاد  
تطربها الطبول والمزمار  
ويتباهى بالصفى الجمهور  
ومصدر الخيرات والاسعاد

(١١)

وكلما جئت الى العواصم أسديت فيها أعظم المغانم  
فيفرح الغنى والفقير ان لم يعق فيوضك التأخير  
وهكذا مسرة الأقبام يحبونها في سائر الأعوام

(١٢)

نهدي اليك الطيب والعجولا وكل قربان نرى مقبولا  
ونوقد النيران والبخورا ونغلا الدنيا بها سرورا  
تخرج من (بنيو) وتأتي طيبه كستهم زائر حبيبه  
وكل ما يحويه سر النيل لم نكتشف منه سوى القليل

(١٣)

مصر تمد النيل رباً سامياً فاجعل لنا بالفيض حظاً نامياً  
واجعل بنى النيل على سواهم يرقون شأننا رغم من عاداهم  
أمين . آمين . آمين

وكان قدماء المصريين باعتبارهم الترنم بهذه الأنشودة يمتنون بتوقيعها على أوضاع الآلات الموسيقية ليكون لوقعها في النفوس طرب النشوة الموسيقية والانشراح القولى، ولا زلنا الى العصر الحالى نتلقى من عوام المنادين الذين يطوفون وحوهم الغلمان في الأزقة والحوارى ما هو بلا شك جدى متتابع من ترديد هذه النغمات أيام الفيضان

ومن اولئك المنادين من يقتصر فيما يلقيه على غلمانه بأناشيد مختصرة ونغمات مقتضبة، ومنهم من يجعل كلماته على نسق السجع المرصع الذى طرأ عليه التحريف العامى فى النطق والتلحين بما لا يخرج فى معناه عن القول الآتى : إنك أيها النيل المبارك صاحب القوة العظيمة ومنك تتدفق الكنوز

وتفيض الخيرات على أرض مصر، بارك الله في فيضانك وأدامك متدفقاً  
بالخير والبركة على البلاد والأودية والبساتين والمزارع يشكر نعماءك الانس  
والحيوان والطيور في أوكارها ، والحيتان في أغوارها .

فإذا كانت عبادة النيل بصفته الهاً كما كان يعجده به قدماء المصريين  
في حفلاتهم ومعايهم فقابلته بالتحية والبشاشة والفرح والسرور عند مبادئ  
أشهر فيضانه آثار باقية من العواطف القومية لدى الأمة المصرية بصرف  
النظر عن اختلاف المعتقدات والتطورات العصرية

## الشعر العربي

في مدح النيل

علم القراء أن النيل من أجل المواهب الإلهية على هذه البلاد، وأن  
هذه الهبة الأبدية لم تستطع أيدي التغلب الدولي بخسه حقه من الكرامة  
والاحترام فهو ينبوع الحياة للأرض ومن عليها . فمع تعاقب الدول في  
الاستعمار والتملك بقى النيل متسامياً على كل قوة يمنح البلاد من الرخاء والسعادة  
ما يشجعها على معاصرة الجبابرة ومكافحة طوارئ الدهور حتى أن اليونان  
والرومان لم يحدوا ما للنيل من القوة الفعالة في المزايا العمرانية التي اختصت  
بها تربة الأراضي المصرية . وأتى العرب بدمهم فأجادوا وأبدعوا في وصف النيل  
والتحدث بمواهبه وتقديره لما أبرزوه من آيات البلاغة في هذا المضمار نثرت  
المقططات من قصائدهم طولة تناقلتها التواريخ العربية كالمقريزي وغيره ومنها قوله :

كان النيل رزقهم ولب      لما يبدو لعين الناس منه  
فيأتي حين حاجتهم اليه      ويمضي حين يستغنون عنه

قال المسعودى فى تاريخه قال بعض الشعراء يصف مصر  
مصر ومصرأ شأنها عجيب ونيابا يجرى به الجنوب

قيل فى مصر عدة قصائد ومقطعات فى كل سنة منها ما قاله الشيخ صلاح  
الدين خليل ابن ابيك الصفدى

لم لا أهيم بمصر وأرتضيها وأعشق  
وما ترى العين أحلى من ماها إن تدفق

وفى المعنى للشيخ زين الدين عمر بن الوردى  
ديار مصر هى الدنيا ومساكنها هم الأنام فقابلها بتقيل  
يا من يباهى ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل

وأبدع منه ما قيل فى المعنى أيضاً لابن سلام

لعمرك ما مصر بمصر وانما هى الجنة العليا لمن يتذكر  
وأولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وللقاضى شهاب الدين احمد بن فضل الله العمري فى المعنى

ما مثل مصر فى زمان ربيعها بصفاء ماء واعتدال نسيم  
أقسمت ما تحوى البلاد نظيرها لما نظرت الى جمال وسيم  
لمصر فضل باهر لعيشها الرغد النضر  
فى كل سفح تلتقى ماء الحياة والخضر

ولابن الصايغ الحنقى فى المعنى واجاد

أرض بمصر فلك أرض من كل فن بها فنون  
ونيلها العذب ذاك بحر ما نظرت مثله العيون

وغيره في المعنى

النيل . قال وقوله      اذ قال ملٌ مسامعي  
في غيظ من طلب الملا      عم البلاد منافعي  
وعيونهم بعد الوفا      أفلعتها بأصابعي

وللشريف العقيلي في المعنى

أحن الى الفسطاط شوقاً وانى      لأدعو لها أن لا يحل بها القطر  
وهل في الحيا من حاجة لحياتها      وفي كل قطر من جوانبها نهر  
تبدت عروساً والمقطم تاجها      ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

ولو خشية الإطالة لذكرنا من هذا نبذ كثيرة . ومن أراد الاكثار من ذلك  
فليراجع تاريخ « حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور » فقد ذكر من ذلك  
عدة مقطعات عند وفاء النيل في كل سنة من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر  
والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن المرحوم تعرى بردى الاتابكي

## عبادة النيل

المعبود أزوريس هو النيل - النيل السمائي والنيل المائي

النيل على شكل انسان

معلوم أن قدماء المصريين كانوا على جانب عظيم من التعلق بمعتقداتهم الدينية ، وكانوا يعملون لكل شيء عظيم النفع إلهاً خاصاً يقدمون إليه عبادتهم في أوقات يحددهونها لما اشتهر عندهم من خواص هذا الشيء ، فكانوا يقيمون للنيل العبادات المتعددة في أوائل الفيضان وفي عيد الصليب وغيره مما مر بنا إيضاحه

وقد استعمل المؤرخون اليونان والرومان حد التطرف ومنتهى الغلو فيما تكلموا به عن معتقدات وعبادات المصريين مع كونهم لم يعرفوا لغة البلاد الحقيقية التي تمكنهم من الوصول الى سر هذه العقائد والعبادات ، ونشروا في مؤلفاتهم افتراءً شنيعاً على المصريين وقالوا إن عبادتهم كانت قاصرة على الأصنام حتى قال بوسيد في كتابه ( خطاب في التاريخ العالمي الجزء الثالث ) « كان كل شيء إلهاً في مصر ما عدا الله تعالى » ولا ينبغي أن تأخذنا الدهشة لهذا الافتراء الصادر عن جهالة قائله ، فإن الزائر المتحف عندما يشاهد الآثار الموجودة ، ويرى تماثيل الآلهة ونحوها يعتقد أن تلك الطائفة في معتقداتها أسراراً باهرة وآداباً سامية ، فما كانوا يعظمون آلهتهم وملوكهم إلا لإعتقادهم فيها الوسيلة والزلفى لدى الله الذي هو الاله الاكبر الذي تدين الكائنات لعظمة قدرته

ولم يكن اشتغال الشعب المصرى بالابداع فى الرموز والتصاوير الآمن باب التوسيع فى الفراسة الذهنية والتفنن الذوقى فى اتقاء ما يعتقدون به نوال القربى لدى هذه الآلهة الثانوية .

وقد قال اكليمندس الاسكندرى الذى جاء مصر فى عصور الأضمحلال لديانة القدماء الحقيقية انهم كانوا يصورون آلهتهم بمنظر وحش يتورغ على بساط من أرجوان ، وانهم كانوا يقدمون للنيل فى مواسم الفيضان ونحوه عبادة خاصة باعتبار أنه المصدر الأقوى لحياتهم الزراعية والعمرائية . وقد عثر على حجر يرجع تاريخه الى الأسرة الرابعة منسوب لابنة الملك خوفو تكلمت فيه عن عبادة المصريين للنيل ، ولم تعلم لنامنه الأماكن التى كانت معدة لهذا التعبد و ذكرت عبادته فى مدينة ممفيس

وكان بيت النيل ( ولعله منبعه ) يدعى فى المدن الأخرى باللغة المصرية القديمة ( پاحمبى ) وأشهر هذه المدن تسمى ( هاحمبى ) أى قصر النيل وعلم مما اكتشف أخيراً على حجر من السرايوم أن هذه المدينة هى مدينة هايوبوايس . ووجد منقوشاً على مائدة للقرايين محفوظة اليوم فى متحف فلورانس ويرجع تاريخها الى الأسرة الثالثة عبارات ببيان الأحتفالات الدينية التى يقيمها المصريون اكراماً للنيل المبارك وان عبادته يرجع تاريخها الى العصور الأولى وكان عند قدماء المصريين معدوداً من الآلهة الثانوية

والحقيقة ان القيام بالعبادات للنيل كان عاماً بأحاء القطر ولم يكن مختصاً بجهة دون أخرى ، فقط كانت بعض البلاد تمتاز بفخامة معابدها ومبانيها ونقشوا فيها احتفالات النيل مثل معابد الكرنك وادفو وندرة ومدينة هابو وكان النيل يمثل فى هذه المعابد على شكل إله طبيعى ويعبدونه باعتقادهم

فيه الاقدمية والدهرية

وكانوا يمثلونه بصفته إلهاً مقدساً (جمعي) ويلقبونه إله الخصب والاب  
المرتب على شكل رجل في ريمان الشباب ممتلئ سناً ونشاطاً كرجل مترف  
غنى من العظماء يعلق على تمثاله حلياً في الصدر يشبه ثدى المرأة وبطنه مطوية  
من الشحم وخذاه ثابتان مدورتان أشبه منظر بالعادة الحسنة وتقسفت فوّه  
هذه الكلمات باللغة المصرية القديمة (عنخ ، اوزا ، سنڤ) ومعناها الحياة والصحة  
والقوة . وهكذا كان المصريون يمثلون رسم رجالهم الأغنياء العظماء

ومن تماثيل النيل ما هو مختلف اللون فبعضها احمر وبعضها أزرق  
يحمل على رأسه النباتين البردى واللوطس رمزاً الى الوجهين القبلي والبحري .  
وبعض هذه التماثيل مرسوم على جدران معبد سبتى الاول بايدوس ومعابد  
ادفو ودندرة لأن عبادة النيل كانت منتشرة في جميع الأقاليم كما تقدم

وترى بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى الغربية تماثيل لنيل الوجه القبلي  
والنيل لوجه البحرى حاملين الأسماك والطيور والأزهار ليقدمها هدية للملك  
وكثيراً ما يمثل النيل في كتاب الموتى بصفته الرمزية . وقد نقش على صفحة  
سلسلة أن النيل هو ابو الآلهة وأنه خرج من نفسه .

ومن الغريب ان قدماء المصريين شيّدوا معابد كثيرة لآلهتهم ولم يقيموا  
معبداً للنيل ، بل تقرأ اسمه منقوشاً على جدران المعابد وقواعد المسلات وكان له  
فيها رجال يتخصصون لخدمته .

وروى هيردوت أنه كان من عاداتهم انشال جثة من يموت غريقاً أو  
يبتله تمساح ودفنّها بالإكرام والتعظيم

وكانوا يعتقدون ان النيل المأوّل يقيم في جزيرة بيجا (وان خزانتة) منبعه  
موجود هناك وكانوا يعتقدون انه آت من نون وهو الفضاء الاول الموجود  
وانما ليس له ابتداء ، وان الإله جمبي يتحد مع اريس في ضمانة البقاء الأبدى له

ولهذا اعتادوا ان يجعلوا اليد اليسرى لمن يموت في ست لفائف ويرسمون عليها اسم النيل والمعبودة ازيس وفي بعض المدارس اللاهوتية ان النيل (جمعي) باتحاده مع ازيس زوجة المعبود ازوريس) هو الفيضان الذي يخصب ارض مصر واعتقد قدماء المصريين ان الدار الآخرة تشبه الحياة الدنيا وانه يوجد بها نيل كنييل مصر ، واعتقدوا ان جنتهم واد منحصر بين جبلين يفصلهما نهر تمر فيه سفينة الشمس وان مياهه تمر من الغرب الى الشمال حتى منتصف المسافة ، وتنزل في المجرى ذاته من الشمال الى الغرب ، وان ازيس بكت زوجها ازوريس في هذا النهر . ولما نزلت فيه مدامعها تفجرت مياهه وسببت هذا الفيضان الأرضي ، وكانت المياه السماوية تحوط الجنة والشمس تطوف حول مجرى هذه المياه التي تغطي هذه الدنيا تماماً وتفصلها عن السماء ومتى اختفت الشمس في الأفق تمر سفينتها في المياه السماوية وان سفينة الشمس تمر بالليل في وادي الأموات ودعوا النيل الشهير ( الجندى ) وان الأموات في الدار الآخرة تمر في سفينة الإله رع ومن هذا يتبين للقارىء انه لم يكن عندهم سوى نيلين النيل السماوى والنيل الأرضي وهو نيل مصر

آلهة الأنهر - ثالوث بيلاق - العجل أيس وسيرايس

قصص خرافية عن النيل - ما أشيع عن النيل

كما اعتقد المصريون في النيل مزايا الألوهية ولقبوه أنه أب الآلهة وأنه الإله جمعي كانت لهم أيضاً آلهة أخرى لأنهار كثيرة ورؤوسها على أشكال أكباش وآلهة الشلال وثالوث بيلاق

فمنها أزوريس اله مندمس وخونسو اله الشلال (وحرشافيتو) اله مدينة

هيراكليوبوليس الكبرى وكل منهم هياً تسمياً من النيل في دائرة المنطقة  
المسماة باسمه لتستمد بمعوناته وفيوضاته حظها من الخصب والرخاء



قال هيردوت كان أهالي مهندس  
يكرمون كثيراً جنس المعز. وإذا ماتت  
واحدة من فصيلتها، أقاموا لها حداداً في  
كل إقليم. ولفظة مهندس كلمة مصرية  
قديمة معناها تيس، وكان مرشافيتو  
معبود هيراكليوبوليس الكبرى ومعبود  
النيل أيضاً وثالوث بيلاق هو خونسو  
وأثوكيت وساتيت وخونسو كلمة مصرية  
قديمة معناها رئيس البنائين وأثوكيت  
معناها الخاضعة وساتيت معناها رامية  
السهم

وثالوث بيلاق يرجع تاريخه إلى أقدم  
المصور. وكان خنوم أحد الآلهة المعبودين  
في ذلك الإقليم يرسم في جهة رأس كبش  
وفي غيرها رأس آدمي واسمه القديم توم  
وفي عصر البطالسة صاروا ينطقونه بلفظ خنوم ومعناه جمع

وقد شبهوا فتاح إله مدينة ممفيس بالنيل وأنه يشبه أزوريس في كونه  
كالشمس الليلية، وأنه الإله الأول

والعجل أيس من آلهة النيل أيضاً وقال رولين قد أذاعوا عن العجل

فتاح إله مدينة ممفيس  
مخط الجسم والأصل بالمتحف المصري

أبيس أنه يجمع بين الحيوانات وشيدوا له المعابد وكانوا يقدمون له فروض الأكرام فاذا مات يحزن له جميع المصريين ويقيمون المآتم ثم يبحثون عن يختارون بديلاً منه بعلامات خاصة ويميزونه بفرقة بيضاء في جبهته على شكل الهلال وعلى ظهره رسم صقر وعلى لسانه رسم جعل ( جعران ) فتى عشروا على من تتوفر فيه هذه الصفات اتخبوه وبدلت أتراحهم أفرحا



العجل ابيس  
الاصل بالمتحف المصرى

وقال بلوتارك ان العجل أبيس هو الصورة الحية لأزوريس ولا يتجاوز عمره ٢٥ سنة . فتى بلغ هذا السن أماتوه وألقوه فى النيل بكل اجلال واحترام ودفنوه فى السرايوم وبموته يصبح أزوريس . وكلمة سرايوم مأخوذة من اسم ( أسرحمى ) الذى حرفه اليونان الى لفظة سيراييس

وترجع عبادة العجل ( أبيس ) الى أقدم العصور التاريخية وقد ذكرت فى شاهد لابنة الملك خوفو من الأسرة الرابعة وكانت عبادته أكثر انتشاراً فى عهد الأسر الثلاثة الأولى لاسيما فى عهد البطالسة . وقد وصف اكليمنس الاسكندرى والقديس اغسطينوس جمال هذا الإله وقالوا إنهم شيدوا له معبداً نفما اشتهر بمعبد السرايوم الذى كان احدى عجائب الاسكندرية فى عهد البطالسة

وجميع الرسوم والنماثيل تمثل العقول والمقدار عظمتهم العصرية وعنايتهم بان تبقى آثارهم مدى الأجيال تنبأ عنها الشعوب متمدحة بعظمة النيل واعظامهم له لأن كل دولة احتلت مصر سواء في العصور القديمة أو الحديثة تعترف بما للنيل من الأيادي البيضاء الخالدة في أعناق كل من شماتهم سعة واديهم المبارك

### ذكر شيء من فضائل النيل

قال المقرئون: أخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعتني سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات

وقد ذكر اسم النيل في التوراة (يوز) «تخرج من النيل البقرات التي رآها فرعون في الحلم» (سفر التكوين الفصل ٤١ الأعداد ١-٣) «أمر فرعون ان يلقى في النيل أبناء العبرانيين الذكور» (سفر الخروج ١-١٢٢) «ألقى موسى في النيل في سبت من الخيزران والتقطته ابنة فرعون» (سفر الخروج الفصل الثاني الأعداد ٣-٦) - «أخذ ماء من النيل وألقاها في الأرض فتحوط إلى دم» (سفر الخروج الفصل الرابع العدد التاسع) - «أخرج موسى من النيل الضفادع التي اتلفت أراضي مصر» (سفر الخروج الفصل الثامن الأعداد ٥-١٣)

وذكر الأنبياء اسم النيل في كتاب العهد القديم (اشعيا الفصل ١١ العدد ٦) «مياه النيل مياه البحر» ويصف ارميا مجرى النيل في الفصل ٤٦ الأعداد ٧-٨ وقال ناعوم في الفصل الثالث العدد الثامن «كان هذا البحر سوياً لمدينة طيبة الخ

وفي التوراة وخلق فردوساً في عدن وجعل الأنسب فيه وأخرج منه نهراً  
ينقسم أربعة أجزاء فيسوق الحيط بأرض حويلا وجيحون الحيط بأرض كوش  
وهو نيل مصر ودجلة الآخذ إلى العراق والفرات . وروى ابن عبد الحكم  
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال نيل مصر سيد الأنهار سخّر الله  
له كل نهر من المشرق والمغرب فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل  
نهر أن يمدّه فأمدته الأنهار بمائها ونجر الله الأرض عيوناً فإذا انتهت جريته  
إلى ما أراد الله عز وجل أوحى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنقه

وعن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سأل  
كعب الأحمري هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خيراً قال أي والذي فلق  
البحر لموسى إني لأجده في كتاب الله أن الله يوحى إليه في كل عام مرتين  
يوحى عند جريته أن الله يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحى  
إليه بعد ذلك يا نيل عُرِّ حميداً

وعن كعب الأحمري رضي الله عنه أنه قال أربعة أنهار من الجنة وضعها  
الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان  
نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة

وقال المسعودي نهر النيل من سادات الأنهار وأشرف البحار لأنه  
يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشريعة

وقد قالت العرب إن النيل إذا زاد غاضت له الأنهار والأعين والآبار  
وإذا غاض زادت فزيادته من غيضاها وغيضه من زيادتها وأيس في أنهار الدنيا  
نهر يسمى بحراً غير نيل مصر الكبره واستبحاره

وقال ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث وفي حديثه عم نهران مؤمنان  
ونهران كافرين أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ  
انما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الأرض  
ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا مؤونة وجعل دجلة ونهر  
بلخ كافرين لأنهما لا يفيضان على الأرض ولا يسقيان شيئاً إلا قليلاً وذلك  
القليل بتعب ومؤونة فهذان في الخير والنفع كالمؤمنين وهذان في قلة الخير  
والنفع كالكافرين ( ١٥١ )



## فهرست الكتاب

صفحة	صفحة
٦٦	٣
تأخر زيادة النيل وتقصانه في عهد العرب	مقدمة الكتاب
٧٩	٥
مصبات النيل حسب عقيدة القدماء	منابع النيل حسب عقيدة قدماء
٨٠	المصريين وتقاليدهم
مقاييس النيل في عهد الفراعنة	١١
٨٣	خطاب أحد رؤساء كهنة قدماء
ذكر مقاييس النيل في عهد العرب	المصريين إلى يوليوس قيصر
٨٨	الرومان بشأن منابع النيل
المقياس بناء على تحقيقات العنصر الحالى	١٥
٩٠	بحث العالم القديم والحديث في
الضرائب المصرية القديمة	منابع النيل
٩٤	١٩
المكوس المصرية القديمة على المراكب	رأى العرب في منابع النيل
٩٥	٢٨
أموال خراج أراضي مصر في عهد العرب	أسماء النيل من النصوص المصرية
٩٧	القديمة
خراج مصر في الاسلام	٣٤
٩٨	سيحور من أسماء النيل أيضاً
رأى العلماء في بحيرة مريس	٣٨
١٠٠	فيضان النيل وأسبابه عند
أعياد النيل عند قدماء المصريين	قدماء المصريين
١٠٤	٤٥
» » في العصور الوسطى	التنبؤات المصرية القديمة الخاصة
١٠٩	بالنيل - ورقة انسطاسى البردية
رسوم النيل في الآثار المصرية	أو سفر أبور المتنبى المصرى
١١١	التقديم منذ ٤٠٠٠ سنة
أنشودة النيل لقدماء المصريين	٤٦
١١٥	أعمال ملوك الأسرة ١٣ في النيل
الشعر العربى في مدح النيل	٥٢
١١٨	زيادة النيل وتقصانه وأطواره في عهد
عبادة النيل - المعبود أزوريس هو	العرب (في سنة ٧٦٩ م - ١٥٢ م
النيل - النيل السمائى والنيل	إلى سنة ١٩١٤ م - ١٣٣٢ م)
المائى - النيل على شكل انسان	
١٢١	
آلهة الأنهر - ثالوث بيلاق - العجل	
أبيس وسيرايس - قصص خرافية	
عن النيل : ما أشيع عن النيل	
١٢٤	
ذكر شئ من فضائل النيل	

## فهرست الرسوم الموجودة في هذا الكتاب

- ٢ رسم صاحب الجلالة ملكنا المعظم فؤاد الاول وحوله رسوم الفراغنة العشاء
- ٤ رسم زينة مصرية قديمة بديعة الشكل
- ٨ رسم الاله حمفي في محبته وفوق الصخور المرتفعة رسما الصقر والباشق رمز للوجهين البحري والقبلي
- ١٨ خريطة قديمة للنيل
- ٢٩ رسم لنيلي الوجهين البحري والقبلي
- ٣٠ » آخر لنيلي الوجهين البحري والقبلي
- ٣٨ » المعودة ازيس والاصل بالمتحف المصري
- ٣٩ » » » نقتيس » »
- ٤٣ » لنيل مدينة تيس والاصل بالمتحف المصري
- ٦٥ تمثال للنيل على شكل انسان محفوظ اليوم في حدائق التويليري بباريز
- ٧٨ رسم مجرى النيل حسب خريطة بطليموس المحفوظة بدير جبل أوتوس
- ٧٩ رسم خريطة مصاب النيل الخمسة حسب رأى هيردوت المؤرخ اليوناني
- ٨٧ رسم عمود المقياس مأخوذ من كتاب وضع قاسم بك
- ٩٤ مركب شراعية مصرية قديمة والاصل بالمتحف المصري
- ١١٠ رسم النيلين نيل الوجه البحري ونيل الوجه القبلي وهما يحملان علامة الاتحاد وعماها اسم ملكنا المعظم فؤاد الأول باللغتين المصرية القديمة والعربية
- ١٢٢ رسم فتاح إله مدينة ممفيس والاصل بالمتحف المصري
- ١٢٣ رسم العجل أيبس والاصل بالمتحف المصري